أغلوطتان في طبقات الأطباء والحكماء

الدكتور رشيد حميد حسن الجميلي

جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

المقدمة

من الأمور التي يتميز بها تراثنا العلمي العربي أن معظم هذا التراث قد حفظه لنا أناس كرسوا جُلَّ أوقاتهم من أجل تدوين ما قرأوه أو سمعوه أو شاهدوه أو ما توصلوا إليه عن طريق التجربة والملاحظة، وهؤلاء هم مؤرخونا وباحثونا الذين نعتمد عليهم ـمن خلال مصنفاتهمـ في دراستنا للتأريخ العربي الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية.

وإذا كان البعض من هؤلاء قد وجد في تسنمه للمناصب الرسمية ما يسد عنه حاجته من المتطلبات الحياتية فإن البعض الآخر قد عوَّل على ضروب إنتاجه فحسب في سبيل الوصول إلى تحقيق هذه المتطلبات.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تكتنف الأعصر التي عاش فيها الصف الأول من المؤرخين والباحثين ـومثل ذلك ما كانت تتسم به الحياة العلمية والعملية لأفراد هذه الطبقةـ فإن ما وصلنا من تراث على أيدي هذه الصفوة المثقفة يستحق منا أعلى درجات الثناء والتقدير، فلولاهم لما عرفنا ما عرفناه، ولولاهم لما وقفنا على ما وقفنا عليه.

وعلى الرغم من أن الأمانة العلمية، والدقة، والبحث، والتحري، والاستقراء، والاستقصاء هي السمات الرئيسية التي اتسمت بها معظم كتابات الأوائل من المؤرخين والباحثين إلا أن البعض منهم قد فاته حقيقة بعض ما ورد فيما صنَّفَه، وهذه الهفوات التي وقع فيها مؤرخونا وباحثونا

القدامى تناقلها عنهم –وللأسف- من جاء بعدهم من المؤرخين والباحثين حتى كادت تصبح حقائق مسلماً بها.

ولكن لحسن الحظ، ولكي تأخذ الحقيقة سبيلها إلى المعرفة فإن ما فات البعض من مؤرخينا وباحثينا القدامى لم يغفل عنه البعض الآخر ممن سلك السبيل ذاته في ميدان البحث والتأليف، فقد تنبَّه ونبَّه إلى ذلك.

ومع عظم أهمية هذا التنبيه الذي ينم عن تجسيد حي لأصول البحث العلمي فقد وجدنا أن عدداً غير قليل من المؤرخين والباحثين، القدامى منهم والمحدثين، قد جهلوا أو تجاهلوا الواقع التأريخي لبعض الآراء والأفكار التي وردت في بعض مصادر التراث العلمي العربي الأمر الذي يحتم على المؤرخ والباحث المعاصر أن يتوقف عندها ليتبين صحيحها من خطئها فيأخذ بصحيحها وينبه إلى خطئها تبعاً لمنهج البحث التأريخي وموضوعية البحث.

وبعد فلا نريد هنا الإشارة إلى أكثر مما أشرنا إليه آنفاً فإن ما سنقف عليه من روايات وآراء وأفكار وردت في بعض مصادر التراث العلمي العربي والتي جانبت الصواب تماماً ستوضح لنا تفصيلاً ما أردنا إيضاحه بإيجاز في هذه المقدمة.

ومن هذه الروايات والآراء والأفكار نورد فيما يلي بعض الأمثلة منها والتي ستتبين لنا بالدليل والبرهان على أنها حقيقة كانت أغلوطات كنا نتمنى لو أن المصادر التي تضمنتها قد خلت منها.

أغلوطة في طبقات الأطباء والحكماء

(١)

الذي لا ريب فيه أن كل مؤرخ أو باحث يهدف فيما يهدف إليه إظهار ما هو عاكف على عمله بما يتفق ومتطلبات أي بحث سواء أكان ذلك في الأسلوب أو المضمون أو في النتائج التي يسعى المؤرخ أو الباحث إلى التثبت منها. ومن هذا وذاك يظهر العمل الذي قد يرضي صاحبه تماماً وقد يقربه من درجة الكمال في الوقت نفسه. إلا أن هذا الهدف ليس يسيراً على الدوام لأسباب شتى: منها ما يتعلق بشخصية المؤرخ أو الباحث ودرجة ثقافته، والأسلوب الذي درج عليه في ميدان البحث والتأليف، والموضوع الذي يبحثه، وماهية المصادر التي اعتمد عليها في بحثه، والمناخ العام لزمن المؤرخ أو الباحث... إلى غير ذلك من الأسباب والسمات المتعلقة بعناصر البحث والتأليف.

وعلى أساس ما تقدم تكمن نوعية العمل فقد نرى عملاً متكاملاً من جميع جوانبه يستحق منا الثناء والإجلال أو قد نرى العكس مما لم يخطر حتى ببال المؤرخ أو الباحث إبان فترة بحثه من أن يرى عمله وقد اكتنفته الهفوات والثغرات.

ولما كان ما أشرنا إليه آنفاً لابد من حصول أحدهما في كل زمان ومكان فقد وجدنا أن البعض من مصادر التراث العربي الإسلامي قد تضمنت بعض الروايات التي تفتقر إلى السند التأريخي كما تضمنت أيضاً الكثير من الآراء والأفكار التي يعوزها الدليل والبرهان. ومن هذه المصادر التي تندرج تحت هذه الخاصية كتاب ((طبقات الأطباء والحكماء)) للمؤرخ الأندلسي سليمان بن حسان الشهير بإبن جلجل.

ولأجل الإحاطة التامة بموضوع البحث فقد رأينا أن يتضمن البحث ثلاثة جوانب رئيسية تكمل إحداها الأخرى:

أولها التعريف بمؤلف الكتاب الذي نبحثه، والثاني ما نراه تقييماً شاملاً للكتاب حتى نقف على الطريقة التي سلكها المؤلف في تصنيفه لكتابه هذا والمصادر التي اعتمد عليها فيما تضمنه الكتاب. ثم نأتي بعد ذلك إلى مناقشة الأغلوطتين اللتين وردتا في الكتاب المذكور وهذا هو الجانب الثالث والأخير من البحث.

فمن حيث الجانب الأول فإن مؤلف كتاب ((طبقات الأطباء والحكماء)) هو المؤرخ الأندلسي: ((سليمان بن حسان المتطبب، من أهل

قرطبة[٧]، ويعرف بإبن جلجل (ومعناه الجرس) ويكنى أبا أيوب. سمع الحديث بقرطبة في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة (٩٥٤م) وهو إبن عشر سنين من أبي بكر أحمد بن الفضل الدينوري[٧]، وأبي الحزم وهب بن مسرة[٧] بمسجد أبي علاقة وبجامع قرطبة والزهراء[٤] وغيرها مع أخيه محمد بن حسان[٤]، ثم ترعرع وسمع أحمد بن سعيد الصدفي المنتجالي[٦]، والأسعد بن عبد الوارث[٧]، وأخذ العربية عن محمد بن يحيى الرباحي[٤]. قرأ عليه كتاب سيبويه[٤] في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (٩٦٨م)، وصحب أبا بكر بن القوطية[١٠] وأبا أيوب سليمان بن محمد الفقيه[١١] وغيرهما. وعني بطلب الطب فغلب عليه وعرف به وبلغ منه الغاية، وطلبه وهو إبن أربع عشرة سنة، وأفتى فيه وهو إبن أربع وعشرين، وألف كتاباً حسناً في طبقات الأطباء والحكماء، وفرغ منه في صدر سنة سبع وسبعين وثلاثمائة (٩٨٧م)، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة(٩٤٣م)))[١٢].

وكان إبن جلجل شديد العناية بتحصيل العلوم المختلفة، فقد سمع الحديث على أساتذة عصره من المحدثين، وتلقى النحو وعلوم العربية على أستاذ عصره محمد بن يحيى الرباحي الذي رحل إلى الشرق ولقى أئمة العلم فيه وحمل عنهم بعض الكتب الهامة بالرواية ومنها كتاب سيبويه الذي كان إبن جلجل آخر من قرأه عليه من تلاميذه سنة ٣٥٨هـ (٩٦٨م)، ومات الرباحي في هذه السنة، ثم صحب أستاذه أبا بكر بن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م) صاحب كتاب ((الأفعال)) و((تأريخ إفتتاح الأندلس)) وأخذ عنه الكثير من العلوم. وكانت عنايته بالطب ودراسته والاشتغال به في سن مبكرة، فقد بدأ بطلبه في الرابعة عشرة وأفتى فيه في الرابعة والعشرين، وغلب عليه هذا الفن وبه عرف، وفيه وفي رجاله كانت مؤلفاته. ومع أنه كان خبيراً بالمعالجات، جيد التصرف في صناعة الطب، فإنه كان على علم كبير بقوى الأدوية المفردة وصناعتها وتركيبها.

ورغم أنه عاصر عبد الرحمن الناصر[١٣] والحكم المستنصر[١٤] وأسهم في عصرهما بقسط كبير من علمه ومجهوده، إلا أنه نبغ واشتهر في ولاية المؤيد بالله هشام[١٤] الأولى (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) الذي كان طبيبه الخاص وألَّفَ في عهده أكثر كتبه.

أما عن السنة التي توفي فيها مؤرخنا الأندلسي إبن جلجل فإن جميع المصادر التي ترجمت له لم تذكر لنا تأريخ وفاته سوى ما ذكره حاجي خليفة[١٦] من أنه توفي بعد سنة ٣٧٢هـ (٩٨٢م) –وهو التأريخ الذي ذكره

إبن جلجل أنه ألَّفَ فيه كتابه ((تفسير أسماء الأدوية المفردة))- في حين ذكرت المصادر الأخرى أنه كان طبيب المؤيد بالله هشام بن الحكم (٣٦٦-٣٩٩هـ) معتمدين في ذلك على كلام إبن جلجل نفسه في الكتاب المذكور.

ولسنا ندري في أي سنة مات إبن جلجل في ولاية المؤيد الأولى التي بلغت ثلاثة وثلاثون عاماً تقريباً، إلا أننا نعرف أنه ألَّفَ كتابه ((طبقات الأطباء والحكماء)) في صدر سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) –كما يذكر إبن الأبار نقلاً عن ترجمة إبن جلجل لنفسه- ونعرف أيضاً أن من تلاميذه سعيد بن محمد الطليطلي المعروف بإبن البغونش[٢] المولود سنة ٣٦٩هـ (٩٧٩م) والمتوفى سنة ٤٤٤هـ (١٠٥٢م) وقد ولد في طليطلة[٣] وارتحل إلى قرطبة لتلقي العلم. فإذا فرضنا أنه بدأ في دراسة الطب وسنه خمسة عشر عاماً تقريباً –وهي السن التي بدأ فيها إبن جلجل دراسة الطب- فيكون ذلك سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م). ومن هذا يمكننا أن نقول أن إبن جلجل مات بعد هذه السنة[٤].

ولإبن جلجل من الكتب:

كتاب تفسير أسماء تفسير الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربي[١]، وقد أفصح عن مكنونها، وأوضح مستغلق مضمونها، ألَّفه في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة (٩٨٢م) بمدينة قرطبة في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله – مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به وما لا يستعمل لكي لا يغفل ذكره. وقال إبن جلجل أن ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره إما لأنه لم يره ولم يشاهده عياناً، وإما لأن ذلك كان غير مستعمل في دهره وإبناء جنسه -رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين- كتاب يتضمن ذكر شيء من أخبار الأطباء والفلاسفة ألفه في أيام المؤيد بالله[٢].

وبعد أن وقفنا على جانب من الحياة العلمية والعملية لمؤرخنا الأندلسي إبن جلجل، نأتي الآن إلى دراسة تصنيفه لمؤلفه وهذا هو الجانب الثاني من البحث.

فمن المؤكد أنه على الرغم من أن المعلومات التي تضمنها كتاب ((طبقات الأطباء والحكماء)) لإبن جلجل قد تميزت بالإيجاز الشديد بصفة عامة إلا أن الكتاب المذكور: (يعتبر وثيقة هامة في تأريخ العلوم، وتطور حركة التأليف والترجمة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) –الذي

يعد بحق- العصر الذي ازدهرت فيه الحضارة[٢٢] العربية الإسلامية ونمت وبلغت غايتها من الإنتاج الواسع في شتى ميادين العلوم والآداب. ولعل ميزة هذا الكتاب الأولى التي جعلت له قيمة علمية خاصة ونصاً قديماً له خطره في تأريخ العلم أن مؤلفه يعتمد فيما رجع إليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية تأريخية.

فقد عهدنا دائماً أن أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية وأنهم أكثروا من الترجمة[٢٣] والنقل عن هذا الطريق. ولكننا لم نظفر –إلا قليلاً جداً- بنصوص عربية ترجمت عن اللغات اللاتينية وربما كان كتابنا هذا أول كتاب استفاد من هذه الترجمات التي نرجح أنها تمت في عصره أو قبله بقليل.

والموضوع الذي اختاره مؤلفنا هو ((طبقات الأطباء والحكماء)) وهو وإن كان أول أندلسي ألّف في هذا الموضوع إلا أننا نجد أن غيره من المؤلفين في المشرق الإسلامي قد سبقوه إلى هذا النوع من التأليف. فإن أقدم مصدر بين أيدينا الآن عرض لتراجم الأطباء وهو كتاب ((الفهرست))[٢٤] لإبن النديم[٢٤] وقد ألّفه في حدود سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) –أي في نفس السنة التي ألّف فيها إبن جلجل كتابه- لا يعد الأول من نوعه فقد استقى بعض معارفه في هذا الموضوع على وجه التحديد، تراجم الأطباء قبل الإسلام، من كتاب ((تأريخ الأطباء والحكماء)) لإسحق بن حنين العبادي[٢٦] المتوفى سنة ٢٩٨هـ (٩١٠م).

ولاشك أن إسحق بن حنين يعد أول مؤرخ في الإسلام أفرد كتاباً خاصاً لتراجم الأطباء والحكماء وإن كنا لا نغفل عما ورد في كتب بعض المؤرخين ممن عاصره أو كان قبله بقليل من إشارات أو تراجم لبعض الأطباء والحكماء ضمن مؤلفاتهم من غير أن يفردوها بتأليف خاص كما ورد عند اليعقوبي[٢٢] من فصول تأريخية لبعض الأطباء اليونان والرومان في العصور التي سبقت ظهور الإسلام. وكما صنع حنين بن إسحق العبادي المتوفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) في كتابه ((نوادر الفلاسفة)) الذي لا يحق لنا أن نعتبره أكثر من بعض الأقوال والحكايات المنسوبة إلى الأطباء والفلاسفة في صورة نوادر وأقاصيص[٢٤] ولا يعد بحال من الأحوال مرجعاً تأريخياً بالمعنى الصحيح في هذا الموضوع.

ومن المؤكد أن إسحق بن حنين قد اعتمد في كتابه على أصل يوناني لمؤلف مشهور هو يحيى النحوي (يوحنا فيلوبونوس جراماتيكوس)[٢٩] الذي عاش في الإسكندرية[٣٠] في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وقام بكثير من الشروح والتفاسير لمؤلفات أرسطو[٣١] وبتأليف بعض الكتب في الدفاع عن الدين المسيحي ضد الوثنية.

ومن الغريب أن إسحق بن حنين وهو يذكر في كتابه أنه يؤرخ للأطباء والحكماء من بدء ظهور الطب إلى سنة ٢٩٠هـ (٩٠٢م) فإنه لم يزد شيئاً عما نقله من كلام يحيى النحوي سوى ذكره له في آخر من ذكرهم من المترجمين عند يحيى رغم أنه قد عاش في هذه القرون الثلاثة الأولى للإسلام بعض الأطباء النابهين الذين تركوا لنا مصنفات هامة مثل: أهرن القس[٣٢] ويوحنا بن ماسويه[٣٣] وقسطا بن لوقا البعلبكي[٣٤] وبعض آل بختيشوع[٣٥] وغيرهم حتى أنه لم يذكر والده حنيناً الذي ترجم له مؤرخو الأطباء بعد ذلك.

أما أهمية كتابنا هذا التي أشرنا إليها من اعتماده على تراجم عربية لأصول لاتينية فإن من المؤكد أن إبن جلجل لم يطلع على المؤلفات التي كانت بين يدي المؤرخين في تأريخ الأطباء في المشرق الإسلامي والتي ذكرنا أن مصادرها كانت يونانية لأننا نرى أنه حتى عصر إبن جلجل لم تكن مثل هذه المؤلفات قد انتقلت إلى الأندلس[٣٦] أو عرفت هناك إلا قليلاً وخصوصاً الكتب التي ترجمت للأطباء، فلم يكن معروفاً لدى العلماء منها عصرئذ إلا الفهرست لإبن النديم الذي كان معاصراً لإبن جلجل كما ذكرنا ولم يطلع عليه خاصة وأن المعارف والمعلومات عن أصحاب التراجم عند إبن النديم وإبن جلجل شديدة التباين والاختلاف سواء في تراجم الأقدمين ممن كانوا قبل الإسلام ونقلوا أخبارهم من الكتب القديمة أو ممن عاشوا في الإسلام وقاما هما بوضع تراجمهم.

فكان والأمر كذلك أن يعتمد إبن جلجل في جمع معلوماته على ما بين أيديهم في الأندلس من الكتب التي عرضت لهذا الموضوع واللغة الأصلية لأهل هذه البلاد هي اللغة اللاتينية وعنها ترجمت بعض المؤلفات التأريخية إلى العربية في القرن الرابع الذي عاش فيه إبن جلجل وأن أهمها هو كتاب (باولوس أوروسيوس)[٣٧] الذي يذكره دائماً إبن جلجل باسم (هروشيوش)[٣٨] وكتاب ((الحشائش))[٣٩] لديسقوريدس العين زربي ترجما في عصره، وقد أسهم بنفسه في هذه الخدمة العلمية كما يتضح من مقدمته

للتفسير الذي صنفه لكتاب الحشائش المذكور[٤١] من أنه أدرك نقولا الراهب الذي قام في صدر دولة الحكم المستنصر بترجمة كتاب ديسقوريدس من اليونانية إلى اللاتينية وصحبه مع غيره من العلماء والأطباء وقاموا بتصحيح أسماء العقاقير المذكورة في هذا الكتاب إلا القليل الذي لا بال به ولا خطر له[٤٢].

ثم أن ما نعلمه عن انتشار الكتب المشرقية في الأندلس –وخاصة كتب الطب والعلوم- لم يعرف إلا في عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) أو قبله بقليل وفي ذلك يقول إبن جلجل: ((ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، فتتابعت الخيرات في أيامه ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم وقامت الهمم وظهر الناس ممن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين))[٤٣].

وخلفه إبنه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) وكان له الفضل الكبير في نشاط الحركة الثقافية في الأندلس وإستجلاب المؤلفات والكتب من المشرق. فقد كان: ((مشغوفاً بالعلوم حريصاً على اقتناء دواوينها يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان ويبذل في أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان ونفق ذلك لديه فحملت من كل جهة إليه حتى غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه... وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ورجال يوجههم إلى الآفاق باحثين عنها))[٤٤].

وقد غدت قرطبة في عهده أكبر منار للتعليم في العالم الإسلامي وبلغت مكتبة قرطبة في عصره على ما قيل نحواً من أربعمائة ألف مجلد، وكان من نتائج هذه النهضة العلمية أن دخل الأندلس كثير من مؤلفات المشارقة.

ولاشك أن من الدلائل التي تؤكد دخول كتب العلوم إلى الأندلس في عصر متقدم أن كتاب الحشائش لديسقوريدس بترجمة اصطفن بن بسيل[٤٤] وإصلاح حنين بن إسحق (المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م) كان معروفاً عند الأندلسيين إلى عصر عبد الرحمن الناصر (اي في سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م) وهي السنة التي يذكر إبن جلجل في مقدمة كتابه ((تفسير أسماء الأدوية المفردة)) أن كتاب الحشائش في أصله اليوناني دخل فيها الأندلس[٤٥].

وإذا علمنا أن حنيناً قد توفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) وأن عبد الرحمن الناصر تولى الحكم سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) أدركنا أن هذا الكتاب دخل الأندلس قبل عصر الناصر بسنوات قليلة أو في عصره بالذات لأن إشارة

إبن جلجل تفيد أنه كان معروفاً إلى سنة ٣٣٧هـ (٩٤٨م) عندما ورد هذا الكتاب باللغة اليونانية هدية من ملك القسطنطينية[٦٤] إلى عبد الرحمن[٦٤].

ومن الكتب التي عرفت أيضاً في الأندلس في هذا العصر المتقدم كتاب ((الأدوار والألوف))[٦٤] لأبي معشر البلخي[٦٤] المتوفى سنة ٢٧٢هـ (٨٨٥م) فهو من المصادر التي اعتمد عليها إبن جلجل ونقل عنها واستفاد منها.

وقد ذكر إبن جلجل أن في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[٦٥] (٢٢٨-٢٧٣هـ/٨٤٢-٨٨٦م) والأمير عبد الله بن محمد[٦٥] (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) برع بعض الأطباء ولكن لم تعرف لهم مؤلفات. أما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) فقد ظهر بعض الأطباء الذين بدأوا بتأليف الكتب ومنهم يحيى بن إسحق الطبيب[٦٥] الذي ألّف كُناشا في الطب سماه ((الإبريسم)) في خمسة أسفار[٦٥] وهو أول تأليف ذكره إبن جلجل لأطباء الأندلس وهذا يؤكد قوله بدخول الكتب الطبية من المشرق في هذا العصر واستفادة العلماء منها فإن إبن جلجل نفسه ينقل في كتابه هذا أقوالاً من كتب بقراط[٦٤] وجالينوس[٦٤] وغيرهما ومن المرجح أنه ينقل عن الترجمات العربية التي وصلت إليه من المشرق.

ومن مزايا كتاب ((طبقات الأطباء والحكماء)) أيضاً عناية المؤلف بذكر الأصول والمصادر التي اعتمد عليها في جمع هذا التأليف[٦٥] ويمكننا تقسيم هذه المصادر إلى نوعين:

أ- النقل من الكتب

ب- الأخبار المروية بالسماع

وهكذا يتبين لنا مما تقدم الكيفية التي اعتمدها المؤرخ الأندلسي في تصنيفه لكتابه، والمنزلة التي يتبوؤها هذا الكتاب بين مثيلاته من الكتب المشرقية والمغربية في ذات المجال.

والآن وبعد أن قدّمنا آنفاً تقييماً شاملاً لكتاب طبقات الأطباء والحكماء –موضوع البحث- لابد لنا من القول أنه على الرغم مما تقدم فإن على الباحث في كتاب إبن جلجل هذا أن يكون متيقظاً جداً وذلك لاحتوائه على بعض الروايات الوهمية التي تفتقر إلى السند التأريخي ومن ذلك نذكر على سبيل المثال ما ذكره المؤلف عن تكليف الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد[٦٥] (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) للطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه

الجنديسابوري (المتوفى سنة ٢٤٣هـ/٨٥٦م) بترجمة ما وجده الأول في غزواته لأنقرة وعمورية[٥٩]. ففي هذا الخصوص يقل إبن جلجل:

((يوحنا بن ماسويه... قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقرة وعمورية وبلاد الروم حين سباها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة، ووضع له كُتّاباً حُذاقاً يكتبون، وخدم هارون والأمين[٦٠] والمأمون[٦١] وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل[٦٢]))[٦٣].

والجدير بالملاحظة هنا أن قول إبن جلجل هذا قد وجد سبيله إلى المصادر الأخرى التي ترجمت للطبيب والمترجم يوحنا بن ماسويه.

فالمؤرخ القاضي صاعد الأندلسي (٤٢٠-٤٦٢هـ/١٠٢٩-١٠٦٩م) يقول في ترجمته ليوحنا بن ماسويه: ((وكان في الدولة العباسية من ملوك الإسلام جماعة من النصارى والصابئين علماء بفنون العلم. فمن النصارى يوحنا بن ماسويه، خدم في صناعة الطب الرشيد والمأمون وبقي إلى أيام المتوكل، وكان قد قلده هارون (الرشيد) ترجمة الكتب القديمة التي وجدت بأنقرة وبغيرها من بلاد الروم حين إفتتحها المسلمون، فترجم منها كثيراً، إذ له في الطب تآليف عظيمة القدر...))[٦٤].

كذلك كان الأمر مع المؤرخ الوزير جمال الدين القفطي (٥٦٨-٦٤٦هـ/١١٧٢-١٢٤٨م) فقد ذكر في حديثه عن يوحنا بن ماسويه أنه: ((كان نصرانياً سريانياً في أيام هارون الرشيد، وولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها، ووضعه أميناً على الترجمة، ورتّب له كُتّاباً حُذاقاً يكتبون بين يديه، وخدم الرشيد والأمين والمأمون ومن بعدهم من الخلفاء إلى أيام المتوكل...))[٦٥].

ومن المؤرخين الآخرين الذين ضمَّنوا مؤلفاتهم رواية إبن جلجل هذه المؤرخ الطبيب إبن أبي أصيبعة (٥٩٦-٦٦٨هـ/١١٩٩-١٢٦٩م) الذي يروي عن سليمان بن حسان (إبن جلجل) فيقول:

((كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أميناً على الترجمة، وخدم هارون والأمين والمأمون وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل...))[٦٦].

أما المؤرخ الطبيب غريغوريوس الشهير بإبن العبري (٦٢٢-٦٨٥هـ/١٢٢٦-١٢٨٦م) فقد دَرَجَ هو الآخر على نحو ما سلكه المؤرخون

الذين سبقوه في هذا الخصوص فقال بما قالوا فجاءت روايته مطابقة للروايات السابقة وهي أن: ((من أطباء الرشيد يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة، وخدم الرشيد ومن بعده إلى أيام المتوكل...))[٦٤].

ومن الباحثين المحدثين الذين ساروا على منوال من ذكرنا آنفاً من صف المؤرخين في آرائهم عن العلاقة بين الرشيد ويوحنا، الدكتور محمد علي أبو ريان الذي يورد مؤلفه[٦٧]ما ذكره القفطي من أن يوحنا بن ماسويه عاش أيام هارون الرشيد وولاه الأخير ترجمة الكتب... الخ دون أن نلحظ منه أي اعتراض على هذا النص مما يشير إلى اعتقاده هو الآخر بصحة هذا الخبر.

وفي رأينا أن الطبيب والمترجم الجنديسابوري يوحنا بن ماسويه لم يلتق بالرشيد مطلقاً، ولم يترجم أو ينقل له أي كتاب –كما ذكر ذلك المؤرخ الأندلسي إبن جلجل في روايته المذكورة آنفاً – وأن يوحنا بن ماسويه لم يأت إلى بغداد إلا في بداية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي بعد وفاة الرشيد ومجيء إبنه المأمون إلى الخلافة (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م).

والسؤال هنا: كيف يكون يوحنا بن ماسويه والحالة هذه قد ترجم للرشيد وهو لم يدخل بغداد إبان فترة خلافته؟

ومن هنا فإننا نرى أن الرواية التي جاء بها صاحب كتاب طبقات الأطباء والحكماء هي رواية وهمية ولا أساس لها من الواقع التأريخي ودليلنا على ذلك هو التالي:

١- إن رواية معاصرة الخليفة الرشيد ليوحنا بن ماسويه في بغداد هي رواية ينفرد بها إبن جلجل ولا أحد سواه وأن الروايات الأخرى التي جاءت مطابقة لرواية إبن جلجل أعلاه وفي المصادر[٦٨]الأخرى التي ترجمت ليوحنا بن ماسويه هي روايات منقولة عن إبن جلجل ومنسوبة إليه وعليه فإن حكمنا واحد على هذه الرواية في المصادر الأخرى طالما كان إبن جلجل مصدرها.

٢- إن المؤرخ أبا الفرج محمد بن إسحق المعروف بإبن النديم لم يذكر لنا في كتابه الموسوم بـ((الفهرست)) اسم الرشيد كأحد الخلفاء الذين دخل يوحنا بن ماسويه في خدمتهم وإنما ابتدأ بذكر اسم المأمون كأول خليفة يقوم يوحنا بخدمته من خلفاء بني العباس وحتى عصر المتوكل حيث مات فيه سنة ٢٤٣هـ (٨٥٦م).

ذكر إبن النديم:

((يوحنا بن ماسويه... خدم المأمون والمعتصم[٦٤] والواثق[٦٥] والمتوكل))[٦٦].

ومن قول إبن النديم هذا يتضح لنا أن الرشيد وولده الأمين قد أستبعدا من صف الخلفاء الذين دخل يوحنا بن ماسويه في خدمتهم.

وبعد فالسؤال هنا يطرح نفسه: إذا كان يوحنا بن ماسويه قد عاصر الرشيد فعلاً في حاضرة الخلافة العباسية وقام بأمر الترجمة والنقل له –كما يرى ذلك إبن جلجل- فلماذا لم يذكر صاحب الفهرست اسم الرشيد كأحد الخلفاء الذين خدمهم يوحنا مثلما ذكر أسماء بقية الخلفاء ممن دخل يوحنا بن ماسويه في خدمتهم فعلاً؟

٣- لو دققنا النظر في رواية إبن جلجل لرأيناه يذكر مدينتي (أنقرة) و(عمورية) باعتبارهما من المدن التي غزاها المسلمون زمن الرشيد وهذا غير صحيح من واقع تأريخنا تماماً إذ لم تفتح هاتين المدينتين في عهد الرشيد بل أن عمورية على وجه الخصوص لم يدخلها المسلمون إلا في زمن المعتصم الخليفة العباسي الثامن (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) الذي قاد الحملة على عمورية بعد أن حمل إليه البريد صوت امرأة عربية تطلب نجدته ليخلصها من أسرها بعد أن تعرضت مع قومها لغزو الروم.

ذكر أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المعروف بالمسعودي: ((ونزل (المعتصم) على مدينة عمورية ففتحها سنة ٢٢٣هـ (٨٣٧م)))[٦٧].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الفتح هو الذي حدا بالشاعر العربي أبو تمام حبيب بن أوس الطائي[٦٨] إلى نظم قصيدته البائية المشهورة في مدح المعتصم وذكر حريق عمورية ومن أبياتها:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... لو بينت قط أمراً قبل موقعه
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
والعلم في شهب الأرماح لامعة ... فتح تفتح أبواب السماء له
أين الرواية أم أين النجوم وما ... يا يوم وقعة عمورية انصرفت
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة
عجائباً زعموا الأيام مجفلة ... في حده الحد بين الجد واللعب[٦٩]
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ... متونهن جلاء الشك والريب
وصيروا الأبرج العليا مرتبة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

ليست بنبع إذا عدت ولا غرب ... لم تخف ما حل بالأوثان والصلب
عنهن في صفر الأصفار أو رجب ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب
ما كان منقلباً أو غير منقلب ... عنك المنى حفلاً معسولة الحلب[٧٤]
ما دار في فلك منها وفي قطب

وعليه وبناء على ما تقدم يمكننا القول: أن يوحنا بن ماسويه لم يعاصر الرشيد في حاضرة الخلافة، ولم يترجم أوينقل له أي كتاب لأنه يحضر إلى بغداد خلال فترة حكمه وأن الرواية المذكورة قد حملت بين طياتها دليل عدم الوثوق بها والركون إليها.

ومن الباحثين المحدثين الذين يرون ذات الرأي الذي رأيناه، الأستاذ فؤاد سيد محقق كتاب طبقات الأطباء والحكماء لإبن جلجل الذي يذكر بهذا الصدد:

(أجمعت كتب التراجم على أن يوحنا بن ماسويه دخل بغداد في زمن المأمون –أي بعد وفاة الرشيد وخدمه وخدم المعتصم والواثق والمتوكل، ومات في عصره، كما أن فتح أنقرة وعمورية كان في زمن المعتصم سنة ٢٢٣هـ، وهذا يؤيد أن يوحنا لم يتصل بالرشيد، ولكن صاعد الأندلسي[٧٦] وإبن أبي أصيبعة[٧٧] والقفطي[٧٨] في ترجمتهم لإبن ماسويه، نقلوا نص كلام إبن جلجل منسوباً إليه وفيه قوله: أن الرشيد قلده ترجمة الكتب... الخ، ومع ذلك فإن الرواية عن معاصرته للرشيد فينفرد بها إبن جلجل)[٧٩].

ومن الباحثين الآخرين أيضاً نورد هنا ما أشار إليه الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في سياق تحقيقه لكتاب يحيى بن ماسويه الموسوم بـ((الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي وصفة الغواصين والتجار)) حيث يقول: (... فنشأ يحيى ذكياً نابهاً مثقفاً قد أخذ بأسباب العلوم وبخاصة الطب واللغات القديمة حتى اختلطت أخباره بأخبار أبيه ماسويه، فقيل أن الرشيد ((قلده ترجمة الكتب القديمة الطبية مما وجد بأنقرة وعمورية وبلاد الروم حين سباها المسلمون)) مع أن الرشيد عاصر أباه في السنين الأخيرة من حكمه، وأن أنقرة وعمورية لم تفتحا في أيامه بأية حال.

والظاهر أن أول نبوغ إبن ماسويه كان في عهد المأمون، فقد اشتهر هذا الخليفة بفتوحه العديدة في بلاد الروم لكن المأمون لم يفتح أنقرة وعمورية وإنما فتحت على يد المعتصم من بعده سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م، ويبدو أن وهماً آخر تسرب إلى هذه الرواية بالخلط بين الخليفتين، وعلى هذا فإن ما روي عن أن الرشيد ((وضعه أميناً على الترجمة ووضع له كُتّاباً حُذّاقاً

يكتبون)) تعوزها الدقة، وإنما جرى ذلك، فيما نرى، في عهد المأمون، وربما بعد حملته على بلاد الروم سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م[٨١].

أما الدكتور ماكس مايرهوف فيقول بهذا الخصوص: (ومن بين الأطباء الآخرين في جنديسابور[٨٢] والذين وصلت إلينا أسماؤهم نذكر هنا أشهرهم فحسب، ألا وهو يوحنا بن ماسويه الذي هاجر إلى بغداد في أول القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهناك أقام بيمارستانا[٨٣] وجعله الخليفة المأمون في سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م) رئيساً لبيت الحكمة[٨٤] وتوفي في بغداد سنة ٢٤٣هـ/٨٥٦م)[٨٥].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الدكتور عبد الرحمن بدوي وهو صاحب الترجمة والتعليق لكتاب (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) الذي أوردنا منه نص قول الدكتور ماكس مايرهوف أعلاه لم يعترض على ما ذهب إليه الدكتور مايرهوف في رأيه المشار إليه آنفاً كما فعل في مناسبات كثيرة ضمن هذا المؤلف وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على موافقة ضمنية من جانب الدكتور بدوي، المعلق والمترجم، على رأي مايرهوف هذا.

كذلك فإن الدكتور علي سامي النشار يعتمد رأي الدكتور مايرهوف هذا في مؤلفه حينما يتعرض في بحثه إلى مدرسة جنديسابور[٨٧] دون أن نتبين منه أي اعتراض على ذلك مما يشير أيضاً إلى اقتناعه هو الآخر بالرأي المذكور[٨٨].

وهكذا يتبين لنا مما تقدم أن مؤرخنا الأندلسي قد جانبه الصواب في روايته المشار إليها آنفاً ولعل ما قدمناه من أدلة في هذا السياق قد أثبت حقيقة ما ذهبنا إليه.

أغلوطة في طبقات الأطباء والحكماء
(٢)

لقد سبق لنا وأن بيّنّا في الأغلوطة السابقة أنه على الرغم من أن المعلومات التي وردت في كتاب ((طبقات الأطباء والحكماء)) للمؤرخ الأندلسي إبن جلجل (المتوفى بعد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م) قد تميزت بالإيجاز الشديد بصفة عامة إلا أن الكتاب مع هذا: (يعتبر وثيقة هامة في تأريخ العلوم، وتطور حركة التأليف والترجمة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)[٨٢].

كذلك فقد أوضحنا أن هذا الكتاب قد تضمن بعض الروايات الوهمية التي تتنافى مع ما هو واقع فعلاً. وعلى هذا الأساس فإن على الباحث في كتاب إبن جلجل هذا أن يلتزم جانب الحذر في استخدامه للنصوص التأريخية الواردة فيه ولعل ما أوضحناه في الأغلوطة السابقة خير مثال لما أشرنا إليه أعلاه.

وهنا نأتي على ذكر أغلوطة أخرى وردت ضمن المؤلف المذكور كمثال آخر للدلالة على صواب ما نوهنا عنه أعلاه.

أما موضوع هذه الأغلوطة فيتركز حول حقيقة العلاقة التي ربطت بين النحوي ورائد التراث العربي اللغوي أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م) والطبيب والمترجم العربي حنين بن إسحق العبادي (المتوفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م) حيث يرى إبن جلجل أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان معاصراً لحنين بن إسحق العبادي وأن الأخير قد تعلم العربية على يديه. ففي هذا المضمار يقول المؤرخ الأندلسي:

((ونهض حنين من بغداد إلى أرض فارس، وكان الخليل بن أحمد النحوي بأرض فارس، فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب، وأدخل حنين بن إسحق كتاب العين إلى بغداد، ثم اختير للترجمة وأؤتمن عليها))[٨٣].

ولعل من المناسب أن نشير هنا إلى أن رواية إبن جلجل هذه قد إعتمدها من جاء بعد عصر إبن جلجل من المؤرخين كالقفطي الذي ذكر هذه الرواية أيضاً مع شيء من الاختلاف فقال: ((أن حنيناً دخل البصرة ولزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي وأدخل كتاب العين إلى بغداد، واختير للترجمة وأؤتمن عليها))[٨٤].

وقد نحا الطبيب إبن أبي أصيبعة نحو القفطي في هذا المجال حيث يعتقد هو الآخر بصحة رواية إبن جلجل هذه، فهو يروي في مؤلّفه ما حدَّثه به الشيخ شهاب الدين عبد الحق الصقلي النحوي من: ((أن حنين بن إسحق كان يشتغل في العربية مع سيبويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل بن أحمد، وهذا –كما يقول بن أبي أصيبعة- لا يبعد فإنهما كانا في وقت واحد على زمان المأمون))[٩١].

ثم يروي لنا إبن أبي أصيبعة عن سليمان بن حسان الأندلسي (إبن جلجل) قوله: ((أن حنيناً نهض من بغداد إلى أرض فارس، وكان الخليل بن أحمد النحوي بأرض فارس، فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب، وأدخل كتاب العين إلى بغداد، ثم اختير للترجمة وأؤتمن عليها))[٩٢].

أما الطبيب المؤرخ المعروف بإبن العبري فقد ذكر أن حنيناً قد: ((توجه إلى بلاد الروم وأقام بها سنتين حتى أحكم اللغة اليونانية، وتوصل في تحصيل كتب الحكمة غاية إمكانه، وعاد إلى بغداد بعد سنتين، ونهض من بغداد إلى أرض فارس، ودخل البصرة ولزم الخليل بن أحمد حتى برع في اللسان العربي ثم رجع إلى بغداد))[٩٢].

وقبل أن نأتي على مناقشة رواية العلاقة التي ربطت بين الخليل بن أحمد الفراهيدي وحنين بن إسحق العبادي كما أوردها إبن جلجل ونقلها عنه من جاء بعده من صف المؤرخين نرى أن نقف أولاً على تأريخ حياة كل من هاتين الشخصيتين العربيتين وذلك لأهمية هذا الجانب كعامل رئيسي في تفنيد ما ذهب إليه إبن جلجل في روايته المشار إليها آنفاً إضافة إلى ما سنأتي عليه من أدلة وبراهين تؤكد لنا بما لا يدع أي مجال للشك مدى الوهم الذي وقع فيه المؤرخ الأندلسي وما ترتب عليه من تضمين كتابه ((طبقات الأطباء والحكماء)) أغلوطة أخرى كنا نأمل لو لم تجد هذه الأغلوطة سبيلها إلى الكتاب المذكور الأمر الذي تطلب التنويه عنها.

وهنا نرى أن نتطرق أولاً إلى تأريخ حياة الشاعر الخليل بن أحمد الفراهيدي ثم نأتي بعد ذلك على بيان تأريخ حياة المترجم والناقل حنين بن إسحاق العبادي، وسبب تقديمنا ترجمة الخليل على ترجمة حنين هنا يرجع إلى أن الأول أقدم من الثاني في سنة ولادته ووفاته على السواء.

فالأول هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفرهودي الأزدي، سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده، والغاية في تصحيح

القياس، وإستخراج مسائل النحو وتعليله... وأخذ عنه سيبويه. وهو أول من استخرج علم العروض[٩٢]؛ وضبط اللغة، وكان أول من حصر أشعار العرب[٩٤].

وقد ولد الخليل في المكان الذي يعرف حالياً بإمارة (عُمان) على شاطئ الخليج في جنوب الجزيرة العربية، ونشأ بالبصرة وترعرع فيها. وكان مولده على أرجح الروايات عام ١٠٠هـ (٧١٨م). ويلقب الخليل بالبصري، فرغم ولادته خارجها إلا أن نشأته بها غلاماً وتلقيه العلم بها تلميذاً ورياسته لها شيخاً جعلته يشتهر بهذا اللقب[٩٤].

وكان الفراهيدي من الزهاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم، وكان شاعراً. وتوفي الخليل بالبصرة سنة سبعين ومائة[٩٦].

وللفراهيدي من الكتب المصنفة:

كتاب العين: وهو أول معجم في اللغة العربيةوضعه الخليل وسمي بالعين لإبتدائه بحرف العين، وذلك لأن هذا الكتاب مرتب ترتيباً على مخارج الحروف مبتدئاً بالعين، وهو أول حرف يخرج من الإنسا ن من أقصى حلقه إذا أراد التلفظ بحروف الهجاء[٩٧]- كتاب النغم - كتاب العروض – كتاب الشواهد – كتاب النقط والشكل – كتاب فائت العين – كتاب الإيقاع[٩٤].

وبعد هذه النبذة الموجزة من تأريخ حياة الفراهيدي نُقدم هنا ما يماثلها للشخصية العربية الثانية في موضوع البحث ونعني بها شخصية حنين بن إسحق العبادي تلميذ الطبيب الجنديسابوي يوحنا بن ماسويه[٩٩].

ولد أبو زيد حنين بن إسحق العبادي في بغداد سنة ١٩٤هـ[١٠٠] (٨٠٩م)، وقد نشأ بالشام وتعلم بها[١٠١]؛ ولما بلغ السابعة عشرة من عمره عمل بالترجمة والنقل حتى أصبح أحد مشاهير المترجمين والنقلة الذين مثلوا ذلك الدور الرائع في مجال ازدهار حركة الترجمة والنقل إبان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

لقد كان حنين بن إسحق شخصية مرموقة قلَّ أن نجد لها مثيلاً بين أسماء المترجمين والنقلة الذين سلكوا السبيل ذاته، فقد إنفرد حنين بمعرفته بعدد اللغات التي كان يترجم وينقل منها وبدقة ما يترجم وينقل وغزارة ذلك.

هذا إضافة إلى إتباعه لأفضل أسلوب في حركة الترجمة والنقل ذاعت شهرته ذيوع شهرة حنين في هذا المجال ونعني به أسلوب الترجمة بالمعنى.

لقد أتقن حنين العبادي أربع لغات هي: السريانية والعربية واليونانية والفارسية وكان بها ناقلاً مُجيداً إلى أقصى درجات الدقة والجودة. ومما يدلنا على براعة حنين في هذه اللغات هو ما خلَّفه لنا من مصنفات نلحظ من خلالها معرفته التامة بما ذكرنا من لغات. وبهذا الخصوص يذكر إبن النديم:

((كان حنين بن إسحق فاضلاً في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية))[٢: ١٠].

وفي قول إبن أبي أصيبعة بهذا الصدد يكتمل عندنا معنى ما قدمنا له آنفاً حيث يقول: ((وكان حنين عالماً باللغات غريبها ومستعملها: العربية والسريانية واليونانية والفارسية، ونقله في غاية الجودة))[٢: ٣]. ثم أختير حنين للترجمة وأؤتمن عليها، ووضع له كُتاباً عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح حنين ما ترجموا كحبيش بن الحسن[٤: الأعسم][٢: ١٠].

وهنا يجب علينا أن لا ننسى رحلات حنين لمختلف المناطق بقصد الحصول على المخطوطات اليونانية لجلبها إلى بغداد والعمل على ترجمتها إلى العربية الأمر الذي تسبب في إزدهار حركة الترجمة والنقل إبان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

وكانت رحلات حنين هذه تتم تلبية لطلب أبرز القائمين على أمر هذه الحركة في هذا العصر مثل الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) وإبناء موسى[٦: بن شاكر][٢: ١٠].

والواقع أن الخليفة المأمون وإبناء موسى بن شاكر والوزير العباسي محمد بن عبد الملك الزيات[٤: ١] والطبيب الجنديسابوري يوحنا بن ماسويه (المتوفى سنة ٢٤٣هـ/٨٥٦م) هم من أشهر الشخصيات العلمية التي ترجم لها حنين بن إسحق ما استطاعت هذه الشخصيات الحصول عليه من المصنفات اليونانية إلى اللغتين العربية والسريانية[٢: ١٠].

وفي مجال الطب فقد كان لحنين بن إسحق شأن آخر لا يقل في أهميته عن شأنه في حركة الترجمة والنقل، فقد كان علم الطب هو الشغل الشاغل لحنين في أول حياته وهو الذي أدى به فيما بعد إلى الدور الذي تألق ولمع نجمه فيه ونعني به دوره في حركة الترجمة والنقل.

لقد كان حنين طبيباً مبرزاً بين أقرانه من أطباء عصره، وأن خبرته ودرايته في هذا المجال هي التي أوصلته إلى تلك المنزلة الرفيعة التي كان يتمتع بها، ولعل ما حظي به حنين من مكانة مرموقة عند أستاذه الأول الطبيب يوحنا بن ماسويه خير دليل على مستوى تلك المنزلة[١١].

وإذا اختلفت المصادر التي ترجمت لحنين بن إسحق في أمر ما فإنها لم تختلف إزاءه في هذه الناحية حيث أجمعت على أنه كان إمام وقته في عصر الطب وأن تآليفه في هذه الصناعة هي من أفضل ما تكون عليه التآليف في مثل هذه الأحوال[١١].

وما يقال عن المصادر يماثله ما وجدناه عند كافة المراجع التي تطرقت إلى هذا الموضوع، فقد أشادت جميعها بعبقرية حنين في هذا المجال ترجمة ونقلاً وبحثاً وتأليفاً[١١]وكانت وفاة الطبيب والمترجم والناقل حنين بن إسحق العبادي سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م)[١١].

والآن وبعد أن وقفنا على تأريخ حياة كل من الخليل بن أحمد الفراهيدي وحنين بن إسحق العبادي، وبعد أن أوردنا آنفاً نص ما ذكره مؤرخنا الأندلسي بخصوص العلاقة التي جمعت بين الخليل وحنين نقول: إن إبن جلجل في قوله هذا قد وقع في خطأين إثنين: أولهما عندما قال أن الخليل بن أحمد كان بأرض فارس، وثانيهما ما ذكره عن ملازمة إمام الترجمة والنقل حنين بن إسحق للخليل بن أحمد وتعلمه العربية على يديه.

فبالنسبة إلى الخطأ الأول فمن المعلوم أن إمام اللغة والعروض والنحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي كان بأرض البصرة وليس بأرض فارس كما قال إبن جلجل، وعن كتابه نقل الخبر جميع الذين ترجموا لحنين بن إسحق من القدامى والمحدثين، غير أن معظمهم قد ذكروا أن لقاء الرجلين كان في البصرة لا في فارس لأن الخليل بن أحمد لم يدخلها في حياته. وفي هذا الخصوص يقول القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م):

((وتعلم (حنين) العربية في البصرة من الخليل بن أحمد... ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس وإنما كان بالبصرة))[١١].

ويقول النضر بن شميل ـوهو تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ: ((أقام الخليل في خص (بيت من القصب) من أخصاص البصرة))[١١].

وحقيقة الأمر أن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري كان بصرياً بحق منذ نشأته وحتى وفاته وإلا كيف لقب الخليل بهذا اللقب ومن أين جاء له؟

أما بالنسبة للخطأ الثاني، فالصواب هو أن كلا الرجلين: الخليل بن أحمد وحنين بن إسحق لم يلتقيا في حياتهما قطعاً وذلك بسبب أن الخليل بن أحمد لم يكن معاصراً لحنين بن إسحق، بل حتى لم يدركه في حياته، فقد توفي الخليل سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) كما جاء ذلك عند إبن النديم[٦]، وصاعد الأندلسي[٧]، والزبيدي[٨]، والنووي[٩]، والقفطي[١٠]، وإبن خلكان[١١]، والحنبلي[١٢]، واليافعي المكي[١٣]، ومعظم المصادر الأخرى التي ترجمت للخليل، في حين أننا نعلم أن حنين بن إسحق لم يكن موجوداً في هذه السنة ولا حتى في السنين السابقة لأنه لم يكن قد ولد بعد، إذ أن ولادته كانت في سنة ١٩٤هـ[١٤] (٨٠٩م)، أي بعد مرور أربعة وعشرين عاماً على وفاة الخليل بن أحمد.

إذن كيف يلتقي كل منهما بالآخر والحالة هذه من التفاوت الكبير بين وفاة الخليل وولادة حنين؟ وهذا هو في الحقيقة ما كان قد تنبّه له ونبّه عليه المؤرخ صاعد الأندلسي، فقد عقب على رواية إبن جلجل هذه بقوله:

((ولم يكن الخليل بن أحمد بأرض فارس وإنما كان بالبصرة وتوفي بها في سنة سبعين ومائة (٧٨٦م)، وبين وفاته ووفاة حنين المذكور تسعون سنة فأنظر))[١٥].

وبذكر هذه الحقيقة ينفرد صاعد الأندلسي بين جميع المصادر الأخرى التي أرخت للرجلين. ومن جهة أخرى فإن ما كان قد تنبّه له صاعد الأندلسي ونبّه عليه يفيدنا في ناحية أخرى هي في غاية الأهمية ونعني بها تحديد سنة الوفاة لكلا الرجلين: حنين والخليل، حيث حدد صاعد الأندلسي الفترة الزمنية بين وفاة الخليل ووفاة حنين بتسعين عاماً. ولما كانت وفاة الخليل هي في سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) كما أجمعت على ذلك المصادر المذكورة آنفاً لذا فإن إضافة التسعين عاماً –التي هي فرق الوفاة بينهما- إلى سنة ١٧٠هـ يكون الناتج لدينا يساوي سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣م) وهي السنة التي مات فيها حنين بن إسحق وكما ذكر ذلك من ذكرنا آنفاً من المؤرخين أمثال: إبن النديم وصاعد الأندلسي والقفطي وإبن خلكان... وغيرهم.

إذن يتبين لنا مما تقدم أن ما أورده المؤرخ الأندلسي إبن جلجل عن اللقاء بين الخليل بن أحمد وحنين بن إسحق ما هو إلا وهم تأريخي وقع فيه ونقله عنه من جاء بعده من الرواة والمؤرخين والباحثين ولم يلتفتوا إلى ذلك سوى صاعد الأندلسي الذي يبين لنا قوله المذكور آنفاً مبلغ تعجبه ودهشته من هذا الخبر، ولو أن صاعداً الأندلسي ذاته قد أورد ذات الخبر الذي ذكره إبن جلجل إلا أنه لم يذكره كما ذكره غيره من المؤرخين كالقفطي[١٢٦] وإبن أبي أصيبعة[١٢٧] وإبن العبري[١٢٨] وإنما عقَّب على ذلك بقوله الذي أوردناه آنفاً والذي يوضح اللبس والغموض في هذه الرواية.

ومن جهة أخرى فإن هنالك عدداً لا يستهان به من الباحثين المحدثين الذين غفلوا عن هذا الموضوع كما غفل عنه من قبل من بحث في تأريخ حياة حنين من المؤرخين الأوائل ومن هؤلاء الباحثين نذكر على سبيل المثال الأستاذ أحمد أمين الذي يقول في هذا الخصوص: (فذهب حنين إلى بلاد الروم، وأجاد تعلم اليونانية، ثم عاد إلى البصرة، ولازم الخليل بن أحمد يأخذ عنه العربية)[١٢٩].

والجدير بالإشارة هنا أن الأستاذ أحمد أمين قد أورد في مؤلفه ما أوردته بعض المصادر بخصوص سنة الولادة والوفاة لكل من الخليل بن أحمد وحنين بن إسحق.

ففي ترجمته للخليل بن أحمد يذكر الأستاذ أحمد أمين أنه عاش من سنة ١٠٠-١٧٥هـ (٧١٨-٧٩١م)[١٣٠].

وفي حديثه عن حنين بن إسحق ذكر الأستاذ أمين أن ولادته كانت في سنة ١٩٤هـ (٨٠٩م) ومات سنة ٢٦٤هـ (٨٧٧م)[١٣١].

وبغض النظر عما ذكره الأستاذ أحمد أمين بخصوص السنة التي توفي فيها كل من الخليل بن أحمد وحنين بن إسحق، وما أثبتناه من صواب ذلك بإجماع معظم المصادر –كما مر بنا آنفاً- وعلى الرغم من بعد الفترة الزمنية بين التأريخين اللذين ذكرهما الأستاذ أحمد أمين لولادة ووفاة الخليل وحنين إلا أننا نرى أن الأستاذ أمين قد فاته هذا التعارض البيّن بين التأريخين المذكورين وذهب في قوله إلى اتصال حنين بالخليل وتعلمه العربية على يديه.

كذلك فإن الدكتور عمر فروخ يذهب مذهب الأستاذ أحمد أمين في رأيه عن ملازمة حنين للخليل وتعلمه العربية على يديه حيث يقول: (وتبحر (حنين) في العربية على يد الخليل بن أحمد)[١٣٢].

وبمثل ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين والدكتور عمر فروخ في رأييهما المشار إليهما آنفاً بخصوص ملازمة حنين للخليل وتعلمه العربية على يديه، كان الأمر كذلك مع الدكتور محمد علي أبو ريان. فعلى الرغم من أنه قد أثبت في حديثه عن حنين بن إسحق ما أثبتته المصادر التي ترجمت لحنين بخصوص السنة التي ولد وتوفي فيها العبادي إلا أننا نراه يتبع رأي المؤرخين القدماء والمحدثين الذين قالوا بمعاصرة حنين بن إسحق للخليل بن أحمد وتعلمه العربية على يديه. فهو يقول في ترجمته لحنين: (هو أبو زيد حنين بن إسحق، ولد عام ١٩٤هـ من أبٍ عربي نسطوري من أهل الحيرة، ودرس الطب على يد يوحنا بن ماسويه، وتتلمذ على الخليل بن أحمد في تعلم اللغة العربية. ويقال أنه وهو تلميذ ليوحنا كان كثير الأسئلة وكثيراً ما أحرج أستاذه مما دفعه إلى طرده من مدرسته، فارتحل من بغداد إلى بلاد الروم حيث تعلم في الإسكندرية ثم عاد إلى البصرة واتصل بالخليل بن أحمد وصحبه زمن ثم إبتدأ ظهوره في عالم الترجمة... وتوفي حنين عام ٢٦٠هـ أو ٢٦٤هـ)[١٣٣].

ومن الباحثين المحدثين الآخرين الذين يعتقدون بصحة رواية إبن جلجل عن ملازمة حنين للخليل وتعلمه العربية على يديه نذكر هنا الدكتور إبراهيم بيومي مدكور. ففي مقالته الموسومة بـ(منطق أرسطو والنحو العربي) التي ألقاها في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية سنة ١٩٤٨-١٩٤٩، والتي تناول فيها علاقة المنطق[١٣٤]بالنحو العربي وبنحو الخليل بصفة خاصة، ذهب الدكتور في مقالته هذه إلى تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو تأثراً يمس المنهج والموضوع فقال: (وقد أثر فيه ـيعني النحو العربيـ المنطق الأرسطي من جانبين: أحدهما موضوعي والآخر منهجي، فتأثر النحو العربي عن قرب أو عن بعد بما ورد على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد نحوية، وأريد بالقياس النحوي أن يحدد ويوضع على نحو ما حدد القياس المنطقي)[١٣٥].

وقد بنى الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رأيه في تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو على أمور ـنذكر منها هنا ما يخص البحثـ تلمذة بعض

السريان[١٣٦] للخليل بن أحمد كحنين بن إسحق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر كبير في نقل علوم اليونان ومنها الأجرومية (القواعد) إلى العربية وفي إفتتاح حركة الترجمة الكبرى في العالم الإسلامي.

وقرر الدكتور مدكور هنا أن حنيناً كان: (معاصراً للخليل وسيبويه، بل وصديقاً للخليل، وقد تعلم العربية في سن متقدمة، وعانى منها ما عانى، ومن اليسير أن نتصور أنه قد تبادل فيما تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية)[١٣٧].

وفي تعليقه على محاضرة الدكتور إبراهيم بيومي مدكور المشار إليها آنفاً يُسَلِّم الأستاذ مصطفى نظيف بما ذهب إليه الدكتور المحاضر في مسألة ملازمة حنين للخليل وتعلمه العربية على يديه. فقد صرح بلهجة الواثق أنه: (ثابت أنه ـ يعني الخليل ـ كان متصلاً بحنين بن إسحق، وأن حنيناً تعلم العربية على يد الخليل)[١٣٨].

وإذا كان الأستاذ مصطفى نظيف قد أيد وجهة نظر الدكتور مدكور بخصوص رواية إبن جلجل هذه فإن هنالك من يرى أن ما قاله الدكتور مدكور وغيره من المؤرخين والباحثين في هذا الخصوص إنما هو بعيد تماماً عن الواقع ولا يمكن الأخذ به.

فالدكتور مهدي المخزومي يقول في هذا الصدد: (وأما تلمذة حنين للخليل فأمر لا نستطيع الإطمئنان إليه، ولا نسمح لأنفسنا بمتابعة الدكتور ـأي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ـ في القول به، وليس الدكتور أول من قال بهذه التلمذة المزعومة، فإن القائلين بها قدماء ومحدثون. وهؤلاء الباحثون المحدثون يريدون إلى الظن بتأثير النحو العربي بمنطق أرسطو تأثراً مباشراً، وهم ـفيما يبدو لي ـ يعتمدون على ما زعمه إبن أبي أصيبعة والقفطي وزعمهما إيغال في الخلط، وإبعاد في التسمح، لأننا لو إلتفتنا إلى تأريخ حياة الخليل وتأريخ حياة حنين لظهر لنا بطلان ما زعماه مما كادا ينفردان به، فقد نصّت الكتب التي ترجمت للخليل، والمظان التي إستطعت الرجوع إليها على أن وفاة الخليل لا تتعدى سنة (١٨٠هـ) في أكثر تقدير، وأن ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤هـ، وإذن فبين وفاة الخليل وولادة حنين أربع عشرة سنة في أقل تقدير، وإذن فإن حنيناً لم يدرك الخليل ولا رآه، فلا يصح لنا أن نقفو أثر إبن أبي أصيبعة والقفطي وهمهما، فنقول بمقالتهما، ولا يجوز أن نزعم أن حنيناً قد تتلمذ للخليل وتعلم العربية عليه، أو نغلو فنقرر أن حنيناً قد تعلم العربية عليه في سن متقدمة)[١٣٩].

وبعد فإن ما ذكرناه آنفاً عن رأينا في رواية إبن جلجل هذه والمصادر التي وردت فيها هذه الرواية ينطبق أيضاً على ما جاء عند المؤرخين والباحثين المحدثين الذين يعتقدون بصحة هذه الرواية والذين أوردنا آنفاً أسماء وآراء البعض منهم.

وأخيراً لابد من الإشارة هنا إلى أن كل الخصائص السلبية التي إتسم بها كتاب طبقات الأطباء والحكماء للمؤرخ الأندلسي إبن جلجل والتي نوهنا عن بعضها فيما تقدم لا تقف أمام القيمة العلمية الخاصة التي تميز بها الكتاب المذكور والتي جعلت منه نصاً قديماً يُحسب حسابه في تأريخ العلم.

الهوامش

(١) قُرْطُبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم الطاء المهملة أيضاً، والباء الموحدة. وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع = الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان (بيروت، ١٩٥٧م) جـ٤، ص٣٢٤.
ويقول الجغرافي الموصلي أبو القاسم محمد بن علي الشهير بإبن حوقل – وكان قد طرق هذه البلاد في أول سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (٩٤٨م): ((وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة الأهل وسعة الرقعة، ويقال أنها كأحد جانبي بغداد وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها، وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الرصافة.
والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسافله من ربضها، وإبنيتها مشتبكة محيطة من شرقيها وشماليها، وغربها وجنوبها فهو إلى واديها وعليه الرصيف المعروف بالأسواق والبيوع، ومساكن العامة بربضها، وأهلها متمولون متخصصون)) = المسالك والممالك والمفاوز والمهالك أو كتاب صورة الأرض (بيروت، دون تاريخ) ص١٠٧، ١٠٨.
وكانت صفتها هكذا إلى حدود سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م)، فإنه انقضت مدة الأمويين وإبن أبي عامر، وظهر المتغلبون بالأندلس، وقويت شوكة بني عباد وغيرهم، وإستولى كل أمير على ناحية، وخلت قرطبة من سلطان يرجع إلى أمره، وصار كل من قويت يده عمرت مدينته، وخربت قرطبة بالجور عليها، فعمرت إشبيلية ببني عباد عمارة صار بها سرير ملك الأندلس، وخربت قرطبة وصارت كإحدى المدن المتوسطة، وقد رثوها فأكثروا فيها، وينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم = الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٢٤.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن الفضل بن العباس البهراني الدينوري الخفاف. دخل الأندلس سنة ٣٤١هـ (٩٥٢م) فأقبل الناس إليه وازدحموا عليه لتلقي العلم منه. وتوفي بقرطبة سنة ٣٤٩هـ (٩٦٠م) وقد بلغ من السن إثنتين وثمانين سنة وأياماً = إبن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ علماء الأندلس (القاهرة، ١٩٦٦م) جـ١، ص٦١-٦٢.

(٣) هو أبو الحزم وهب بن مسرة بن مفرج بن حكم التميمي، من أهل وادي الحجارة (في الأندلس) قَدِمَ إلى قرطبة وأقام بها، وكان حافظاً للفقه، بصيراً بالحديث مع ورع وفضل، وكانت الرحلة إليه للسماع منه. وتوفي سنة ٣٤٦هـ (٩٥٧م) بوادي الحجارة = إبن الفرضي: تأريخ علماء الأندلس، جـ٢، ص١٦٥-١٦٦.

(٤) مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس إختطها عبد الرحمن الناصر وهو يومئذ سلطان تلك البلاد في سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) = الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص١٦١.

(٥) ويعرف بإبن جلجل –شقيق صاحب كتاب طبقات الأطباء والحكماء سليمان بن حسان- وكان أسَنَّ منه، عني بالحديث ولقاء أهله = إبن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي: تكملة الصلة (مدريد، ١٨٨٩م) جـ١، ص١٠١-١٠٢. إبن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء (القاهرة، ١٩٥٥م) ص(يه) من المقدمة.

(٦) هو أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي، من أهل قرطبة، عني بالآثار والسنن وجمع الأحاديث. رحل إلى المشرق سنة ٣١١هـ (٩٢٣م)، ثم رجع إلى الأندلس وصنَّف تأريخاً في المحدثين بلغ فيه الغاية. ولد سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م)، وتوفي سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) = إبن الفرضي: تأريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٤٣-٤٤.

(٧) هو أبو القاسم الأسعد بن عبد الوارث بن يونس بن محمد القيسي، من أهل قرطبة، كان معلم كتاب، وسمع الحديث عن شيوخ عصره = إبن الفرضي: تأريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٧٦.

(٨) هو محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي المعروف بالرباحي، من أهل قرطبة، وأصله من جيان (مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً. وجيان أيضاً من قرى أصبهان = الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص١٩٥-١٩٦)، رحل إلى المشرق وسمع من أعلام عصره. وكان فقيهاً إماماً موثوقاً، وتوفي سنة ٣٥٨هـ (٩٦٨م) = إبن الفرضي: تأريخ علماء الأندلس، جـ٢، ص٦٨.

(٩) هو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد، ويكنى أبا بشر... وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه، وقد قدم سيبويه أيام الرشيد إلى العراق وهو إبن اثنتين وثلاثين سنة، وتوفي وله نيّف وأربعون سنة بفارس... = إبن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق البغدادي: الفهرست (بيروت، ٢٠٠٢م) ص٨١. وللتفاصيل أنظر إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان وأنباء إبناء الزمان (بيروت، ١٩٦٩) جـ٣، ص٤٦٥، القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي: إنباه الرواة على أنباه النحاة (القاهرة، ١٩٥٢م) جـ٢، ص٣٤٨، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (إستنبول، ١٩٤١م) جـ٢، ص١٤٢٦-١٤٢٨.

(١٠) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بإبن القوطية، من أهل قرطبة، وأصله من إشبيلية، صاحب كتاب الأفعال، وتأريخ افتتاح الأندلس، وكان عالماً بالنحو حافظاً للغة متقدماً فيهما على أهل عصره، وتوفي سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م) = إبن الفرضي: تأريخ علماء الأندلس، جـ٢، ص٧٦.

(١١) هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن سليمان، ولد سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) وتوفي سنة ٣٧١هـ (٩٨١م)، من أهل شذونة (مدينة بالأندلس وهي من أعمال إشبيلية = الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٢٩)، رحل إلى المشرق سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) وعاد إلى

الأندلس سنة ٣٣٧هـ (٩٤٨م) = إبن الفرضي: تأريخ علماء الأندلس، جـ١، ص١٨٧-١٨٨.

(٦) إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص (يد-يز) من المقدمة. كذلك القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء (القاهرة، ١٣٢٦هـ) ص١٣٠.

(٣) هو عبد الرحمن (الناصر لدين الله) بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً، وأفخمهم في القديم والحديث شأناً، وأطولهم في الخلافة –بل أطول ملوك الإسلام قبله- مدة وزماناً. ولّي بقرطبة سنة ثلاثمائة (٩١٢م) عند وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد، وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة (٩٦١م)، فكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام، لم يبلغها خليفة قبله = إبن الأبار: الحلة السيراء (القاهرة، ١٩٦٣م) جـ١، ص١٩٧. كذلك إبن الفرضي: تأريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس (القاهرة، ١٩٥٤م) جـ١، ص١٤-١٥.

(٤) هو الحكم (المستنصر بالله) بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. ولد سنة إثنتين وثلاثمائة (٩١٤م)، ولّي الحكم سنة خمسين وثلاثمائة (٩٦١م)، وكان ملكاً جليلاً عظيم الصيت رفيع القدر عالي الهمة، فقيهاً بالمذاهب وعالماً بالأنساب، حافظاً للتأريخ وجمّاعاً للكتب، محبّاً في العلم والعلماء، مشيراً للرجال من كل بلد، جمع العلماء من كل قطر، ولم يكن في بني أمية أعظم همة ولا أَجَلّ رتبة في العلوم وغوامض الفنون منه، واشتهر بهمته في الجهاد. وكانت وفاته سنة ست وستين وثلاثمائة (٩٧٦م) وعمره نحو من ثلاث وستين سنة، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وهو خاتمة العظماء من بني أمية = إبن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: الإحاطة في أخبار غرناطة (القاهرة، دون تاريخ) جـ١، ص٤٨٦-٤٨٧. كذلك إبن الفرضي: تأريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، جـ١، ص١٥.

(٥) هو هشام بن الحكم، تلقب بالمؤيد بالله، ولد في جمادي الأخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة (٩٦٥م)، وبويع لهشام بالخلافة سنة ست وستين وثلاثمائة (٩٧٦م) = إبن الفرضي: تأريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، جـ١، ص١٥.
وكان هشام بن الحكم متغلباً لا أمر له ولا نهي، وخلع المرة بعد المرة وقد إنقرض ولا عقب له = إبن الأبار: الحلة السيراء، جـ١، هامش ص٢٠٣.

(٦) كشف الظنون، جـ٢، ص١٠٩٦.

(٧) هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش، ولد سنة تسع وستين وثلاثمائة (٩٧٩م)، وكان من أهل طليطلة، ثم رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها فأخذ عن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جلجل... علم الطب، ثم إنصرف إلى طليطلة وإتصل بأميرها الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل... وحظي عنده وكان أحد مدبري دولته... وتوفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة (١٠٥٢م) = إبن أبي أصيبعة، موفق

الدين أبو العباس أحمد: عيون الأنباء في طبقة الأطباء (بيروت، ١٩٩٨م) ص٤٥٥-٤٥٦.

(١٨) مدينة كبيرة بالأندلس. وللتفاصيل أنظر الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٩-٤٠.

(١٩) إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(يد-يز) من المقدمة.

(٢٠) حكيم فاضل كامل، يوناني، وكان بعد أبقراط، وترجم من كتب أبقراط الكثير، وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب، وهو العلم في العقاقير المفردة، وتكلم في هذا المجال على سبيل التجنيس والتنويع ولم يتكلم في الدرجات، وألّف كتاب الخمس مقالات.

قال جالينوس: تصفحت أربعة عشر مصحفاً في الأدوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس وعليه إحتذى كل من أتى بعده، وخلّد فيه علماً نافعاً وأصلاً جامعاً. وله في السمائم مقالتان وقد أتى فيهما بقول حسن = إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٢١. كذلك إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٢، القفطي: تأريخ الحكماء (بغداد، دون تاريخ) ص١٨٤، إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٨-٤٩.

(٢١) إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٥٥.

(٢٢) هي كل إنتاج للإنسان مصدره العقل سواء أكان هذا الإنتاج مادياً أو أدبياً. والحضارة عبارة عن تفاعل جماعة بشرية معينة مع بيئة طبيعية معينة فيكون إنتاج هذه الجماعة صدى لإمكانيات البيئة الطبيعية ومقياساً لمدى جهد الناس في الإفادة من هذه الإمكانيات. ويدخل في الحضارة: أنواع الحرف التي يحترفها الناس، وأنواع المساكن التي يقيمونها، ونظم الحكم التي يخضعون لها، والقوانين التي يحتكمون بها، ونظام الأسرة الذي يرتبطون به. كما يدخل في الحضارة كذلك الإنتاج الأدبي من شعر ونثر وقصص وملاحم وغير ذلك، والإنتاج الفني من نقش ونحت وتصوير = رزقانة، إبراهيم أحمد ومحمد أنور شكري وعبد المنعم أبو بكر وحسن أحمد محمود: حضارة مصر والشرق القديم (القاهرة، ١٩٧١م) ص(و) من المقدمة.

وإذا كانت الحضارة هي تجسيد للنشاط العقلي عند الإنسان فإن تأريخ الحضارة هو سجل لتطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة من سياسية وإجتماعية وإقتصادية وإدارية وحربية وعمرانية. ودراسة هذا التأريخ تتناول إلى جانب ذلك وسائل إنتاج الإنسان ومستوى معيشته وفنونه الجميلة ومعتقداته الدينية وأساطيره وعلومه وآدابه ووسائل كفاحه المستمر مع الطبيعة من أجل البقاء.

والحضارة فعل نام متحرك كالكائن الحي، تولد ثم تحبو طفلة طرية العود حتى إذا اشتد ساقها وأينعت بدأ عهدها المزدهر أو شبابها المعطي وتكون في هذا الطور في إبان خصبها، فإذا استنفدت طاقتها المخزونة بدأت تنحدر نحو الهرم والشيخوخة وبدأ عطاؤها يشح وينضب إلى أن تنقرض = الرافعي، مصطفى: حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة (بيروت، ١٩٧٨م) ص١١.

أما كلمة ثقافة فقد أصبحت في الإستخدام العلمي تقابل كلمة حضارة لكي تدل الأولى إجمالاً على الناحية الروحية والثانية على الناحية المادية برغم عدم التمايز الدقيق بين الناحيتين الروحية والمادية = سعفان، حسن شحاتة: الموجز في تأريخ الحضارة والثقافة (القاهرة، ١٩٥٩م) ص٩.

(٣) الفرق بين الترجمة والنقل هو أن الترجمة تشمل المصنفات التي تُرجمت مباشرة من لغتها الأصلية التي كُتبت وعُرفت بها إلى لغة ثانية. أما إذا عَرَفت لغة ثالثة ذات المصنفات وعن طريق اللغة الثانية التي تُرجمت إليها مباشرة هذه المصنفات من لغتها الأصلية التي كُتبت وعُرفت بها فهذا هو النقل. وعلى هذا الأساس يُطلق على من يقوم بتحويل مادة أي كتاب من لغته الأصلية التي كُتب وعُرف بها إلى لغة ثانية بالمترجم، وعلى من يقوم بتحويل مادة ذات الكتاب من لغته الثانية التي تُرجم إليها إلى أية لغة أخرى بالناقل.

(٤) يعتبر كتاب الفهرست من أوثق المصادر التي بين أيدينا وأقدمها، والكتاب بعد ذلك من المصادر التي لها أهميتها المتميزة في باب أخبار التراث العربي، بل هو الكتاب العربي الأول لكل باحث جعل من الحضارة العربية الإسلامية ميداناً لبحثه، ذلك أن الفهرست هو من أقدم الكتب وأغزرها مادة في هذا الحقل، وهو صدىً لشخصية إبن النديم، فهو كاتب مثقف ثقافة واسعة، مطلع حتى في مسائل الأديان والمذاهب المتعددة، ومن هنا صار الفهرست بحق مرآة تعكس لنا ما كانت عليه الحضارة والثقافة العربية وما جاء به العرب والمسلمون من مآثر في هذا المضمار.

كذلك فإن الكتاب وكما ذكر ذلك مؤلفِّه في مقدمته يزودنا بمعلومات قيمة جداً عن: ((كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب، وقلمها في أصناف العلوم، وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم، وتأريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم، ومثالبهم، منذ إبتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة (٩٨٧م))) = إبن النديم: الفهرست، ص٣ من الممقدمة.

فكان الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لإحصاء ما ألَّف الناس إلى آخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وأشمل وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية والعلمية في ذلك العصر، وأكثر هذه الكتب التي وصفها قد ضاعت بتوالي النكبات المختلفة على البلدان الإسلامية ولاسيما في غزو التتار لبغداد، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها أيضاً كما ضاعت معالمها = إبن النديم: الفهرست، ص٣.

(٥) هو أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق النديم، وهو بغدادي، وكان معتزلياً يدل كتابه ((الفهرست)) على ذلك. وكان إبن النديم وراقاً يبيع الكتب، ومع أن المصادر التي ترجمت له -على قلتها- لم تذكر لنا سنة ولادته إلا أن الثابت في سنة وفاته أنها كانت بعد سنة ٣٩٢هـ (١٠٠١م).

ولإبن النديم من التصانيف:
فهرست الكتب – كتاب التشبيهات. وللتفاصيل أنظر إبن النديم: الفهرست، ص٣-٦، الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء (القاهرة، دون تاريخ) جـ١٨، ص١٧، الزِركْلي، خير الدين: الأعلام (بيروت، ١٩٦٩م) جـ٦، ص٢٥٣.

(٦) هو أبو يعقوب إسحق بن حنين العبادي، المترجم والناقل، والطبيب، والعالم بالأحكام، والشاعر.
ففي مجال الترجمة والنقل يعتبر إسحق بن حنين أحد المبرزين في هذا الميدان في مدرسة أبيه حنين بن إسحق إبان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وكانت ترجمات ونقول إسحق بن حنين قد تميزت بالدقة والجودة وأن ما بلغه إسحق في هذا المجال حدا بالمصادر التي ترجمت له إلى أن تضعه في ذات المرتبة التي إحتلها أبوه حنين من قبل.
ثم أن إسحق بن حنين قد فاق أباه في مضمار اللغة التي إستوعبت معظم الترجمات والنقول لتراث الحضارات القديمة ونعني بها اللغة العربية الأمر الذي أضفى على ترجماته ونقوله أهمية خاصة في هذا الجانب من الترجمة والنقل. وبهذا الصدد يذكر إبن النديم: ((وكان أبو يعقوب إسحق بن حنين، صحيح النقل من اللغة اليونانية والسريانية، وكان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك. وقد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء)) = الفهرست، ص٤٦٨. كذلك إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٥٢-٢٥٣، القفطي: إخبار العلماء، ص٥٧، إبن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص١٨٥، الرشيد، أبو الحسين أحمد بن الزبير: الذخائر والتحف (الكويت، ١٩٥٩م) ص٥٠-٥١.
وفي مجال الطب فقد عُرف إسحق ببراعته الطبية حتى أصبح أوحد عصره كما تقول مصادرنا في هذا الباب، فإبن خلكان يذكر في هذا السياق أن: ((إسحق بن حنين العبادي الطبيب المشهور كان أوحد عصره في علم الطب)) = وفيات الأعيان، جـ١، ص١٨٥. كذلك البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي: تتمة صوان الحكمة (لاهور، ١٣٥١هـ) ص٤-٥.
كذلك فقد عُرف عن إسحق أنه كان قديراً في أحكامه حيث أتقن علم الأحكام كما أتقن فن الترجمة والنقل والطب من قبل. وليس ذلك فحسب فقد كان إسحق شاعراً نظم الكثير من الأبيات في مناسبات مختلفة = البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام (دمشق، ١٩٤٦م) ص١٩.
وكان إسحق بن حنين منقطعاً في آخر أيامه إلى القاسم بن عبيد الله (وزير الخليفة العباسي المعتضد) وخصيصاً به مُقدماً عنده ويفشي إليه بأسراره، وقد لحق إسحق في أواخر عمره الفالج وبه مات ببغداد في أيام المقتدر بالله (الخليفة العباسي الثامن عشر) وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين (٩١٠م) = إبن النديم: الفهرست،

ص٤٥٢. كذلك الصفدي، صلاح الدين خليل: الوافي بالوفيات (فيسبادن، ١٩٧١م) جـ٨، ص٤١٠-٤١١، صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد التغلبي: طبقات الأمم (النجف الأشرف، ١٩٦٧م) ص٥٦.

(٢٢) هو أحمد بن أبي يعقوب إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الإخباري الشهير باليعقوبي وبإبن واضح، وكان يقال له مولى بني العباس ومولى بني هاشم لأن جده كان من موالي المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي الثاني.
وكان اليعقوبي بَحّاثة في التأريخ، فألّف كتاب التأريخ الكبير أو تأريخ اليعقوبي، وكتاب في أخبار الأمم السالفة، وكتاب مشاكلة الناس لزمانهم. كما كان اليعقوبي بَحّاثة في أخبار البلدان، ولقد أعطى التنقيب حقه في سياحته في البلاد شرقاً وغرباً، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة وقف عليها إلا وأحصاها، فألّف كتابه (البلدان) في الجغرافية.
وكان اليعقوبي أديباً شاعراً، وكانت وفاته سنة ٢٩٢هـ (٩٠٤م) = اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تأريخ اليعقوبي (النجف، ١٩٦٤م) جـ١، ص(ب، ج، د).

(٢٣) انظر بدوي، عبد الرحمن: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (القاهرة، ١٩٤٠م) ص٣٩.

(٢٤) كان أسقفاً في بعض الكنائس بمصر، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية (وهم الذن يعتقدون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية ومشيئة واحدة هي المشيئة الإلهية)، ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث، فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره، فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً، وقد فَسَّر كتب أرسطو طاليس.
وليحيى النحوي من الكتب:
كتاب في أن كل جسم متناهي فقوته متناهية مقالة – كتاب الرد على أرسطو طاليس ست مقالات – مقالة يرد فيها على نسطورس – كتاب يرد فيه على قوم لا يعترفون مقالتان – تفسير شيء من كتب جالينوس في الطب = إبن النديم: الفهرست، ص٤١٣.
كذلك البيهقي: تتمة صوان الحكمة، ص٢٣-٢٥، القفطي: تأريخ الحكماء، ص٣٥٤-٣٥٥، إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص١٣٧-١٣٩.
ويذكر الأستاذ عمر رضا كحالة أن يحيى هذا كان حياً قبل سنة ٤٣هـ (٦٦٤م) = معجم المؤلفين (دمشق، ١٩٥٧م) جـ١٣، ص٢٣٤.

(٢٥) يقال لها أحياناً الأسكندرية، كما يطلق عليها كثيراً إسكندرية: أهم ثغور مصر. وقد كانت تعد في زمن البطالمة ثاني مدن العالم، وهي الآن من أهم المدن التجارية على البحر الأبيض المتوسط. وقد شيّد هذه المدينة الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ق.م، وكانت عند إستيلاء العرب عليها حاضرة مصر، ومع أن نجمها أخذ في الأفول إلا أنها ظلت مدينة عظيمة زاهرة = دائرة المعارف الإسلامية – مادة الإسكندرية.

وقال الحسن البصري: لئن أبيت بالإسكندرية ليلة على فراشي أحب لي من عبادة سبعين ليلة كل ليلة منها ليلة القدر بمقدارها.
وروى زهرة بن معبد القرشي قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: أين تسكن بمصر؟ قلت: الفسطاط. قال: تسكن المدينة الخبيثة وتذر الطيبة. قلت: أين؟ قال: الإسكندرية، فإنك تجمع ديناً ودنيا، وهي طيبة الموطأ، والذي نفسي بيده لوددت أن قبري فيها = إبن الفقيه، أبو بكر أحمد: مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٨٨٥م) ص٦٩-٧٠.
وللتفاصيل عن بناء هذه المدينة وعجائبها راجع السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة (القاهرة، ١٩٦٧م) جـ١، ص٨٤-٩٣.

(٣١) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخس بن ماخاون من ولد أسقلبيادس الذي إخترع الطب لليونانيين. ومعنى أرسطو طاليس محب الحكمة، ويقال الفاضل الكامل، ويقال التام الفاضل.
ولد أرسطو طاليس سنة ٣٨٤ق.م، ويقال أنه قد نظر في الفلسفة بعد أن أتى عليه من عمره ثلاثون سنة، وكان بليغ اليونانيين وأجلَّ علمائهم بعد إفلاطون ومن مضى، عالي المرتبة في الفلسفة، عظيم المحل عند الملوك، وكانت وفاته سنة ٣٢٢ق.م، وخلفه على التعليم ثاوفرسطس، إبن أخته ووصية أرسطو طاليس... = إبن النديم: الفهرست، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٣٢) أحد الأطباء النابهين الذين عاشوا بعد ظهور الإسلام بزمن طويل، وكناشه في الطب هو من أفضل الكنانيش القديمة، وقد تُرجم هذا الكناش إلى العربية على يد الطبيب ماسرجويه زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز وبأمر منه (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) = إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٦-٤٦٧. كذلك صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص١١٢-١١٣، القفطي: تأريخ الحكماء، ص٣٢٤.

(٣٣) يوحنا بن ماسويه الجنديسابوري، المترجم والناقل وأحد الأطباء البارزين الذين رعوا حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فترجمت بإسمه الكثير من المصنفات وبخاصة الطبية منها.
ويذكر الطبيب موفق الدين الشهير بإبن أبي أصيبعة أن يوحنا هذا كان ((طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب، وله كلام حسن... وكان مبجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك... وقد ذكر يوحنا بن ماسويه أنه إكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم... وكانت وفاة يوحنا بن ماسويه بسر من رأى سنة ثلاث وأربعين ومائتين (٨٥٦م) في خلافة المتوكل)) = عيون الأنباء، ص٢٢٢-٢٣٢. كذلك القفطي: تأريخ الحكماء، ص٣٨١.

(٣٤) هو من نصارى الشام وقد عرف بفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب. وقد ترجم قسطا قطعة من الكتب القديمة، وكان بارعاً في علوم كثيرة ومنها: الطب، والفلسفة، والهندسة، والأعداد، والموسيقى، لا مطعن عليه، فصيحاً باللغة اليونانية، جيد العبارة بالعربية = إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٤. كذلك إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء،

ص٢٥٦، ٣٠٣-٣٠٤، إبـن العبـري، غريغوريـوس أبـو الفـرج بـن أهـرون: تـأريخ مختصـر الـدول (بيروت، ١٨٩٠م) ص٢٧٤، حـاجي خليفـة: كشـف الظنـون (طهـران، ١٣٧٨هـ) جـ٢، ص٦٨٢.

ويعتبر قسطا البعلبكي آخر من عمل على إزدهار حركة الترجمة والنقل في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وأن سنة وفاته ٣٠٠هـ (٩١٢م) تعد نهاية لعهد طبقة المترجمين والنقلة في القرن الثالث الهجري.

(٣٦) ذكر منهم على سبيل المثال: جورجيس بن بختيشوع، وجبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع.

(٣٧) يصف التاجر الموصلي المعروف بإبن حوقل بلاد الأندلس التي كان قد دخلها في أول سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (٩٤٨م) بقوله: ((فأما الأندلس فهي من نفائس جزائر البحر، ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه... وطولها شهر في عرض نيف وعشرين يوماً، وفيها غامر وأكثرها عامر مأهول ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة والرخص والسعة في جميع الأحوال إلى نيل النعم، والتملك الفاشي في الخاصة والعامة، فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنهم وصلاح بلادهم ويسار ملكهم بقلة كلفه ولوازمه وسقوط شغله بشيء يحذره وحال تخيفه، إذ لا رقبة عليه لأحد من أهل جزيرته ولا خشية له من عدو ينصب لهلكته مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله...)) = المسالك والممالك، ص١٠٤.

(٣٨) هذا الكتاب هو أحد الكتابين اللذين أرسلهما ملك القسطنطينية (أرمانيوس) للخليفة عبد الرحمن الناصر، وقد ألفه باللاتينية باولوس أوروسيوس Paulus Orosius المؤرخ الأسباني الذي عاش في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد، وكان من ضمن ما ذكره ملك القسطنطينية في رسالته إلى عبد الرحمن الناصر عن هذا الكتاب –كما يقول إبن جلجل- في مقدمة تفسير أسماء الأدوية المفردة لديسقوريدس:

((أما كتاب هروشيوش فعندك في بلدك من اللاطينيين من يقرؤه باللسان اللاطيني وإن كاشفتهم عنه نقلوه لك من اللاطيني إلى اللسان العربي)) = طبقات الأطباء والحكماء، ص(كط) من المقدمة. كذلك إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٥٣-٤٥٤.

وقد ذكر عبد الرحمن بن خلدون أن الذي ترجمه للحكم المستنصر من بني أمية (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م): قاضي النصارى وترجمانهم بقرطبة، وقاسم بن أصبغ = العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت،١٩٧١م) جـ٢، ص٨٨.

ومن هنا يتضح أن الكتاب تُرجم في زمن الحكم المستنصر وقد كان إبن جلجل ممن خدموا في دولته وحظوا عنده.

وأهمية هذا الكتاب في تأريخ العلم أنه من أوائل النصوص اللاتينية التي ترجمت إلى العربية إن لم يكن أولها. ويعتبر إبن جلجل أول مؤرخ إسلامي استفاد من الترجمة

العربية ونقل منها في كتابه بعض النصوص = إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(ل) من المقدمة.

(٣٣) الجدير بالملاحظة هنا أن هذا الاسم قد ورد على صور أخرى في المصادر العربية. فإبن أبي أصيبعة يذكره باسم (هروسيس) = عيون الأنباء، ص٤٥٤. في حين يذكره إبن خلدون باسم (هروسيوس) = العبر، جـ٢، ص١٩٧. أما المصادر الأخرى فقد ذكرته باسم (أروسيوس). ويرد عند الأندلسيين بهذه الصور بإبدال السين شيناً كعادتهم في نطق هذا الحرف = إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(كط) من المقدمة.

(٣٤) وعن كتاب الحشائش والنباتات لديسقوريدس يقول حاجي خليفة: ((داوم ديسقوريدس أربعين سنة على معرفة منافعها حتى وقف على منافع البزور والحبوب والقشور واللبوب، وصنَّف وأخبر به تلامذته)) = كشف الظنون، جـ٢، ص١٤١٢.

(٣٥) إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(يح) من المقدمة.

(٣٦) أنظر أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٥٤.

(٣٧) طبقات الأطباء والحكماء، ص٩٧.

(٣٨) إبن الأبار: الحلة السيراء، جـ١، ص٢٠٠-٢٠١، ٢٠٢.

(٣٩) هو أحد الكتّاب العالمين بأمور الترجمة والنقل، وقد عمل إصطفن في بيت الحكمة البغدادي مع الطبيب والمترجم حنين بن إسحق العبادي زمن الخليفة العباسي العاشر المتوكل على الله = أنظر إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٦٨، إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٥٧.

(٤٠) إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٥٣-٤٥٤.

(٤١) ويقال قسطنطينية بإسقاط ياء النسبة. ويقول أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بإبن خرداذبة: ((كانت رومية دار ملك الروم، وكان بها منهم تسعة عشر ملكاً، ونزل بعمورية منهم ملكان، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلاً، وملك بعدهما ملكان آخران برومية، ثم ملك أيضاً برومية قسطنطين الأكبر، ثم انتقل إلى بزنطة وبنى عليها سوراً وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم وإسمها إصطنبول وهي دار ملك الروم، عَمَّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت بإسمه)) = المسالك والممالك (ليدن، ١٨٨٩م) ص١٠٤. كذلك الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٣٤٧.

(٤٢) إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٤٥٣-٤٥٤.

(٤٣) كتاب الأدوار والألوف للبلخي، ذكر فيه الهياكل والبنيان العظيم التي يحدث بناؤها في العالم كل ألف عام = حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص١٣٩٧.

(٤٤) هو أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي، عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم، وصاحب التآليف الشريفة والمصنفات المفيدة في صناعة الأحكام وعلم التعديل، وكان مع ذلك أعلم الناس بسيَر الفرس وأخبار سائر العجم. فمن كتبه في صناعة الأحكام: كتاب الطبائع – كتاب الألوف – كتاب المدخل الكبير – كتاب القرانات – كتاب الدول

والمِلل – كتاب الملاحم – كتاب الأقاليم – كتاب الفيلاج – كتاب الكدجدا – كتاب المثالات في المواليد – كتاب النكت – كتاب تحويل سني المواليد وغير ذلك.
ومن كتبه في حركات النجوم: زيجه الكبير وهو كثير الفائدة، جامع لأكثر علم الفلك بالقول المطلق المجرد من البرهان، وكتاب الزيج الصغير المعروف بزيج القرانات وقد تضمن معرفة أوساط الكواكب لأوقات إقتران (زحل) و(المشتري) منذ عهد الطوفان.
وكان أبو معشر البلخي معاصراً لأبي جعفر بن سنان البتاني = صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٨٩-٩٠.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم. ولد في ذي القعدة سنة سبع ومائتين (٨٢٢م) وتولى الخلافة سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٨٥٢م) وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين (٨٨٦م) فكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً، وبلغ من السن خمساً وستين سنة = إبن الفرضي: تأريخ العلماء، جـ١، ص١٣.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، ولد سنة ثمان وعشرين ومائتين (٨٤٢م) وتولى الخلافة سنة خمس وسبعين ومائتين (٨٨٨م) وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاثمائة (٩١٢م) وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً وبلغ من السن إثنتين وسبعين سنة = إبن الفرضي: تأريخ العلماء، جـ١، ص١٤.

(٦) أحد وزراء عبد الرحمن الناصر لدين الله في صدر دولته، كان أبوه إسحق نصرانياً طبيباً مجرباً صانعاً بيده في أيام الأميرعبد الله الناصر، وولاه الولايات الجليلة، وهو مسلم ونال عنده حظوة، وألّف في الطب كناشاً يشتمل على خمسة أسفار ذهب فيه مذهب الروم = صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٢١.

(٧) إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص١٠١.

(٨) هو أبقراط بن إيراقليس وإليه انتهت الرئاسة. قال يحيى النحوي: أبقراط وحيد دهره، الكامل الفاضل المبين، المعلم لسائر الأشياء الذي يضرب به المثل، الطبيب الفيلسوف، وبلغ به الأمر إلى أن عبده الناس وسيرته طويلة، وقوى صناعة القياس والتجربة قوة عجيبة لا يتهيأ لطاعن أن يتكلم فيها، وهو أول من علم الغرباء الطب وجعلهم شبيهاً بأولاده لما خاف على الطب أن يفنى من العالم كما ذكر ذلك في كتاب عهده إلى الأطباء الغرباء الذين أعلمهم ما دعاه إلى ذلك... وبقراط هو السابع من الثمانية الذين من أسقلبيوس الأول مخترع الطب، وجالينوس الثامن وإليه انتهت الرئاسة، ولم يلقه جالينوس بل كان بينهما ستمائة وخمس وستون سنة.
وعاش بقراط خمساً وتسعين سنة، منهم صبياً ومتعلماً ست عشرة سنة، وعالماً ومعلماً تسعاً وسبعين سنة. وقد خلف بقراط من الأولاد ثلاثة وهم: ثاسلوس ودراقن ومايا أرسيا = إبن النديم: الفهرست، ص٤٥٥.

(٩) ظهر جالينوس بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة أبقراط، وانتهت إليه الرئاسة في عصره، وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم أسقلبيادس مخترع الطب، ومنذ وفاة جالينوس –كما يقول إبن النديم- إلى عهدنا هذا (أي إلى عهد إبن النديم المتوفى بعد سنة

٣٩٢هـ/١٠٠١م) على ما أوجب الحساب الذي ذكره يحيى النحوي وإسحق بن حنين بعده تسعمائة سنة.
وكان جالينوس وجيهاً عند الملوك، كثير التنقل في البلدان، طالباً لمصالح الناس، وكان جالينوس كثيراً ما يلتقي مع الإسكندر الأفروديسي... وبين جالينوس والمسيح سبع وخمسون سنة، المسيح أقدم منه = الفهرست، ص٤٥٧.

(٦) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(ح-يب) من القدمة.

(٧) هو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أمه الخيزران، ولد بالري (مدينة قديمة تقع جنوب شرق طهران) سنة ١٤٥هـ (٧٦٢م) في خلافة المنصور، وتولى الخلافة سنة ١٧٠هـ (٧٨٦م) وتوفي في طوس سنة ١٩٣هـ (٨٠٨م) = الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تأريخ الأمم والملوك (القاهرة، ١٩٣٩م) جـ٦، ص٤٤١.

(٨) بفتح أوله وتشديد ثانيه: بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شراة العلوية. وقيل سميت بعمورية بنت الروم بن ألفيز بن سام بن نوح، وقد ذكرها أبو تمام فقال:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وهي التي فتحها المعتصم سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨م) بسبب أسر العلوية وكانت من أعظم فتوح الإسلام.
وعمورية أيضاً بليدة على شاطئ العاصي = الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص١٥٨.

(٩) هو أبو عبد الله محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله... بن العباس. ولد بالرصافة في شوال من سنة سبعين ومائة (٧٨٦م)، أمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور، ولم يل الخلافة هاشمي من هاشميين سوى علي بن أبي طالب وإبنه الحسن ومحمد الأمين. ولي الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة (٨٠٨م) وعمره ثلاث وعشرون سنة، وقتل على يد طاهر بن الحسين –قائد جيش المأمون- سنة ثمان وتسعين ومائة (٨١٣م) = إبن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي: مختصر التأريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس (بغداد، ١٩٧٠م) ص١٣٠، ١٣٢.

(١٠) هو أبو العباس عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. مولده سنة سبعين ومائة (٧٨٦م) وبويع له سنة ثمان وتسعين ومائة (٨١٣م) وتوفي سنة ثمان عشرة ومائتين (٨٣٣م) = الطبري: تأريخ الأمم والملوك، جـ٧،ص٢١٠-٢١١.

(١١) هو أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد. مولده سنة سبع ومائتين (٨٢٠م)، أمه أم ولد يقال لها شجاع، وبويع بالخلافة بسر من رأى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٨٤٦م) بعد الواثق، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين (٨٦١م) وكان عمره أربعين سنة وخلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ودفن بسر من رأى = إبن الكازروني: مختصر التأريخ، ص١٤٥، ١٤٧.

(١٢) طبقات الأطباء والحكماء، ص٦٥-٦٦.

(٣) طبقات الأمم، ص٥٥.
(٤) تأريخ الحكماء، ص٣٨٠.
(٥) عيون الأنباء، ص٢٢٣.
(٦) تأريخ مختصر الدول، ص٢٢٧.
(٧) أبو ريان، محمد علي: تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام (بيروت، ١٩٧٦م) ص٩٢.
(٨) انظر صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٥٥، إبن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص٢٢٧، القفطي: تأريخ الحكماء، ص٣٨٠، إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٢٣.
(٩) هو أبو إسحق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور... مولده سنة ثمانين ومائة (٧٩٦م)، وأمه أم ولد يقال لها ماردة، لم تدرك خلافته، ولي الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين (٨٣٣م)، وهو الذي بنى مدينة سُرَّ من رأى واتخذها داراً، وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين (٨٤١م)بسر من رأى، وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر ويومين، وبلغ عمره ثمانياً وأربعين سنة، ودفن بسر من رأى = إبن الكازروني: مختصر التأريخ، ص١٣٨، ١٤٠.
(١٠) هو أبو جعفر هارون الواثق بالله بن محمد بن هارون... مولده سنة ست وتسعين ومائة (٨١١م)، أمه أم ولد يقال لها قراطيس، رومية، بويع له بسر من رأى سنة سبع وعشرين ومائتين (٨٤١م)، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٨٤٦م) ودفن بسر من رأى، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً، وعمره اثنتان وأربعون سنة = إبن الكازروني: مختصر التأريخ، ص١٤٢، ١٤٤.
(١١) الفهرست، ص٤٦٥.
(١٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة، ١٩٥٨م) جـ٤، ص٦٠.
(١٣) هو حبيب بن أوس الطائي صليبة (خالص النسب) ولد سنة ثمان وثمانين ومائة (٨٠٣م) بقرية يقال لها جاسم (تقع على مسافة ثمانية فراسخ من دمشق = الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٣٧) ومات الطائي بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٨٤٥م) = الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أخبار أبي تمام (القاهرة، ١٩٣٧م) ص٥٩.

كان حبيب الطائي شاعراً متميزاً وقد حظي بمكانة مرموقة بين أقرانه من شعراء عصره. ولما مات أبو تمام قال الخليفة العباسي الواثق بالله لوزيره محمد بن عبد الملك الزيات (قد غمي موت الطائي الشاعر) مما يدل على المكانة التي بلغها الطائي في عصره. وللتفاصيل أنظر الصولي: أخبار أبي تمام، ص٢٧٣، سيدالأهل، عبد العزيز: عبقرية أبي تمام (بيروت، ١٩٥١م) ص٧، ١٤.
(١٤) لقد أراد الشاعر الطائي هنا أن يسخر من موقف المنجمين إزاء حملة المعتصم على عمورية، ذلك أن المنجمين كانوا قد حكموا بأن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأننا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا في وقت إدراك التين والعنب وبيننا وبين

ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام بها البرد والثلج، فأبى أن ينصرف، وأكب عليها ففتحها فأبطل ما قالوا = أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوان أبي تمام (القاهرة، ١٩٥١م)، جـ١، ص٤٥.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٤٥-٥١.

(٧٥) طبقات الأمم، ص٥٥.

(٧٦) عيون الأنباء، ص٢٢٣.

(٧٧) تأريخ الحكماء، ص٣٨٠.

(٧٨) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(مب) من المقدمة.

(٧٩) ابن ماسويه، يحيى: الجواهر وصفاتها (القاهرة، ١٩٧٦م) ص١٦-١٧.

(٨٠) هي المدينة التي أسسها الملك الساساني سابور بن أردشير وأسكن فيها الشعوب اليونانية. وكانت مدينة جنديسابور قبل أن تعرف بهذا الاسم قرية لرجل يعرف بجندا وأن سابور بن أردشير لما إختار موضعها ليبنيه مدينة بذل له ثمنها مالاً جزيلاً فأبى أن يبيعها، فقال: دعني إبنيها، فأبى إلا أن يشاركه في البناء، وكان المجتازون يسألون الصناع من يعمرها فيقولون: جندا وسابور يعمرانها فصار إسمها جنديسابور = القفطي: إخبار العلماء، ص٩٣. وقد فتحت هذه المدينة على يد أبي موسى الأشعري في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وقد إشتهرت جنديسابور بمدرستها الطبية وتعرف جنديسابور اليوم بإسم شاه أباد.

(٨١) البيمارستان: بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين: (بيمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب و(ستان) بمعنى مكان او دار فهي إذاً دار المرضى، ثم إختصرت في الإستعمال فصارت مارستان = عيسى، أحمد: تأريخ البيمارستانات في الإسلام (دمشق، ١٩٣٩م) ص٤. كذلك المعلوف، عيسى إسكندر: تأريخ الطب عند العرب إلى يومنا (دمشق، ١٩٢٥م) ص١١، ١٧.

(٨٢) أسس بيت الحكمة البغدادي زمن الخليفة المأمون وبأمر منه سنة ٢١٥هـ (٨٣٠م) وذلك بقصد تسهيل سبل الترجمة والنقل والبحث والنسخ... وما شاكل ذلك. وكان عصر المأمون هو العصر الذهبي لهذه المؤسسة الأكاديمية التي أصبحت أحد رموز العصر والتي أعتبرت أيضاً واحدة من ثلاث خزائن لم يعرف الإسلام لها مثيلاً في تأريخه الحضاري والثقافي، وظل الأمر كذلك حتى جاء الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فكان نصيب بيت الحكمة البغدادي من هذا التطور الجديد في الأحداث السياسية كنصيب غيرها من المؤسسات الثقافية الخراب والدمار وبذلك يكون إحتلال المغول لبغداد يعني آخر أيام ذلك البيت العظيم. وللتفاصيل أنظر القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة، ١٩٦٣م) جـ١، ص٤٦٦.

(٨٣) بدوي: التراث اليوناني – من الإسكندرية إلى بغداد، ص٥٦-٥٧.

(٨٤) هي المدرسة التي أسسها كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٨م) في مدينة جنديسابور فسميت باسم المدينة التي تأسست بها.

(١٦) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (القاهرة، ١٩٦٦م) جـ١، ص١١٣.
(١٧) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص(و) من المقدمة.
(١٨) المصدر نفسه، ص٦٨.
(١٩) تأريخ الحكماء، ص١٧١. أو القفطي: إخبار العلماء، ص١١٧.
(٢٠) عيون الأنباء، ص٢٣٩.
(٢١) المصدر نفسه.
(٢٢) تأريخ مختصر الدول، ص٢٥٠.
(٢٣) هو ميزان الشعر، سمي بذلك لأن الشعر يعرض عليه فيظهر المتزن من المنكسر، أو لأنه ناحية من العلوم والعروض الناحية، أو لأن الخليل ألهم هذا العلم بمكة والعروض من أسمائها = القفطي: إنباه الرواة (القاهرة، ١٩٥٠م) جـ١، ص٣٤٢.
وقال حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتابه المسمى ((التنبيه على حدوث التصحيف)): ((إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ولا على مثال تقدمه إحتذاه وإنما إخترعه من ممر له بالصفارين من وقع مطرقة على طست)) = الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة، ١٣٥٠هـ) جـ١، هامش ص٣٤٢. كذلك اليافعي المكي، أبو محمد عبد الله بن أسعد إبن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (بيروت، ١٣٣٧هـ) جـ١، ص٣٦٢-٣٦٣.
وقيل هو في إختراعه علم العروض الذي هو لصحة الشعر وفساده ميزان كأرسطو طاليس الحكيم في اختراعه علم المنطق الذي هو ميزان المعاني وصحة البرهان = اليافعي المكي: مرآة الجنان، جـ١، ص٣٦٢-٣٦٣.
(٢٤) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ستوكهولم، ١٩٦٢م) ص٢٧-٢٩.
(٢٥) الفراهيدي: العين (بغداد، ١٩٦٧م) ص٤.
(٢٦) ابن النديم: الفهرست، ص٦٧. كذلك صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٤٧-٤٨، الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن: طبقات النحويين واللغويين (القاهرة، ١٩٥٤م) ص٤٧، النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات (القاهرة، دون تاريخ) جـ١، ص١٧٨، القفطي: تأريخ الحكماء، ص١٧٣، إبن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٥-١٨، الحنبلي، شذرات الذهب، جـ١، ص٢٧٥، اليافعي المكي: مرآة الجنان، جـ١، ص٣٦٢، دائرة المعارف الإسلامية – مادة الخليل.
(٢٧) الفراهيدي: العين، ص٤٠-٤١.
(٢٨) ابن النديم: الفهرست، ص٦٨. وللتفاصيل عن سيرة وتراث الفراهيدي أنظر: إبن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: الشعر والشعراء (بيروت، ١٩٦٤م) جـ١، ص١٦، ٤١، الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن: مقامات الحريري (القاهرة،

١٣٠٠هـ) جـ٢، ص٢٤٦-٢٤٧، إبن المعتز، عبد الله: طبقات الشعراء (القاهرة، ١٩٥٦م) ص٩٦-٩٩، الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحق النهاوندي: أمالي الزجاجي (القاهرة، ١٣٨٢هـ) ص١٣٢، الزجاجي: مجالس العلماء (الكويت، ١٩٦٢) ص٣٦٩، الزجاجي: الإيضاح في علل النحو (بيروت، ١٩٨٢م) ص(ب) من المقدمة، أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي: مراتب النحويين (القاهرة، ١٩٥٤م) ص٢٧، ٢٨، القفطي: إنباه الرواة (القاهرة، ١٩٥٥م) جـ١، ص٣٤١-٣٤٧، إبن دريد، محمد بن الحسن الأزدي: جمهرة اللغة (حيدر أباد الدكن، ١٣٤٥هـ) جـ١، ص٣، السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (القاهرة، دون تاريخ) جـ١، ص٦٤-٦٥، الحموي: معجم الأدباء، جـ١١، ص٧٢-٧٧، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: تقريب التهذيب (بيروت، ١٩٧٥م) جـ١، ص٢٢٨، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (القاهرة، ١٩٦٤م) جـ١، ص٥٥٧-٥٦٠، الجُمَحِي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء (القاهرة، دون تاريخ) جـ١، ص٢٢، ٧٠، ٢٤٦، ٤٩٣، إبن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: اللباب في تهذيب الأنساب (أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى-بغداد) جـ٢، ص٤١٦-٤١٧، إبن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٥-١٨، بارتولد، ف ف: تأريخ الحضارة الإسلامية (القاهرة، ١٩٥٨م) ص٣٩، زيدان، جرجي: تأريخ آداب اللغة العربية (القاهرة، دون تاريخ) جـ٢، ص١٤٠-١٤٤، ضيف، شوقي: المدارس النحوية (القاهرة، ١٩٦٩م) ص٣٠-٥٦، الندوي، محمد إسماعيل: تأريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية (بيروت، دون تاريخ) ص١١٤، بروكلمان، كارل: تأريخ الأدب العربي (القاهرة، ١٩٧٥م) جـ٢، ص١٣١-١٣٤، المخزومي، مهدي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة (القاهرة، ١٩٥٨م) ص٥٨، ناصف، علي النجدي: سيبويه إمام النحاة (القاهرة، ١٩٥٣م) ص١٩٨، الموسوي، محمد باقر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (قم، ١٣٩١هـ) جـ٣، ص٢٨٩-٣٠١.

(١) الصاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٥٥.

(٢) إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٤٠.

(٣) البيهقي: تأريخ حكماء الإسلام، ص١٦.

(٤) الفهرست، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٥) عيون الأنباء، ص٢٣٦. كذلك الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل (القاهرة، ١٩٦٨م) جـ٣، ص٦، البيهقي: تتمة صوان الحكمة، ص٣، البيهقي: تأريخ حكماء الإسلام، ص١٦.

(٦) هو أحد النقلة المهرة الذين تشكلت منهم مدرسة حنين بن إسحق العبادي في الترجمة والنقل إبان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وكان حبيش من أبرز النقلة بعد إسحق بن حنين في هذه المدرسة وكان يعاون حنين بصفة خاصة في ترجماته من اليونانية إلى السريانية ليتولى هو بدوره نقلها من السريانية إلى العربية.

وقد ذكر إبن أبي أصيبعة أن: ((حبيشاً هو تليذ حنين بن إسحق، ناقل مُجيد يلحق بحنين وإسحق وقد تعلم صناعة الطب من حنين وكان يسلك مسلك حنين في نقله وفي كلامه وأحواله إلا أنه كان يقصر عنه. وقال حنين بن إسحق وقد ذكره في بعض المواضع: أن حبيشاً ذكي مطبوع على الفهم غير أنه ليس له إجتهاد بحسب ذكائه بل فيه تهاون وإن كان ذكاؤه مفرطاً وذهنه ثاقباً. وحبيش هو الذي تمم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين وجعله مدخلاً إلى هذه الصناعة)) = عيون الأنباء، ص٢٥٣-٢٥٤.
وكان حبيش الأعسم نصرانياً... وكان حنين بن إسحق يقدمه ويعظمه ويرضى نقله = إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٧. كذلك إبن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص٢٦٦.
وحبيش من الأطباء المتقدمين وله تصانيف كثيرة في الطب وكان مصيباً في المعالجات = البيهقي: تتمة صوان الحكمة، ص٦. أو البيهقي: تأريخ حكماء الإسلام، ص١٩-٢٠.
ولحبيش من الكتب:
كتاب إصلاح الأدوية المسهلة – كتاب الأدوية المفردة – كتاب الأغذية – مقالة في النبض على جهة التقسيم = إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٧. كذلك إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٥٤.

(٥) إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٦٨-٦٩.

(٦) هم أصحاب كتاب حيل بني موسى وإنهم لا يُعرفون إلا ببني موسى وأشهر ما ينسب إليهم الكتاب المعروف بحيل بني موسى وهم: محمد وأحمد والحسن وقد عرف أولادهم من بعدهم ببني المنجم. وكان والدهم موسى بن شاكر يصحب المأمون، والمأمون يرعى حقه في أولاده هؤلاء المذكورين... فأثبتهم (المأمون) مع يحيى بن أبي منصور الموصلي (كبير المنجمين زمن المأمون) في بيت الحكمة وكانت كتب المأمون ترد من بلاد الروم إلى إسحق بن إبراهيم المصعبي بأن يراعيهم ويوصيه بهم ويسأل عن أخبارهم حتى قال إسحق: لقد جعلني المأمون داية لأولاد موسى بن شاكر فخرج بنو موسى بن شاكر نهاية في علومهم وكان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر (محمد بن موسى بن شاكر) وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم عالماً بإقليدس (عالم الرياضيات اليوناني) والمجسطي (كتاب في الفلك لكلوديس بطليموس اليوناني) وجمع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق وكان حريصاً عليها يكد نفسه فيها ويصبر فعلَتْ منزلته واتسع حاله إلى أن كان مدخوله في كل سنة في بلاد فارس ودمشق وغيرها نحو أربعمائة ألف دينار، وتوفي محمد بن موسى بن شاكر في سنة تسع وخمسين ومائتين للهجرة (٨٧٣م).
وكان أحمد بن موسى دون أخيه في العلم إلا صناعة الحيل فإنه قد فتح فيها ما لم يفتح مثله لأخيه ولا لغيره من القدماء المتحققين بالحيل وكان مدخوله في كل سنة نحو سبعين ألف دينار.
أما الحسن بن موسى فقد كان منفرداً بالهندسة وله طبع عجيب فيها لا يدانيه أحد، لقد علم كل ما علم بطبعه، ولم يقرأ من كتب الهندسة إلا ست مقالات من كتاب إقليدس في

الأصول فقط وهي أول من نصف الكتاب ولكن ذكره كان عجيباً وتخيله كان قوياً حتى حَدَّثَ نفسه بإستخراج مسائل لم يستخرجها أحد من الأولين كقسمة الزاوية بثلاثة أقسام متساوية = إبن النديم: الفهرست، ص٤٣٤-٤٣٥. كذلك صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٥٥، القفطي: إخبار العلماء، ص٣١٥، إبن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٦١-١٦٣.

وعن الحسن بن موسى بن شاكر أيضاً يذكر إبن العبري: ((وعلم المأمون أن الحسن بن موسى لم يقرأ من كتاب إقليدس (أصول الهندسة) إلا ست مقالات فسأله المأمون عن ذلك فقال الحسن: يا أمير المؤمنين لم يكن يسألني أحد عن شكل من أشكال المقالات التي لم أقرأها إلا إستخرجته بفكري وأتيته به ولم يكن يضرني أنني لم أقرأها. ثم قال الحسن بن موسى: ولا تنفعه قراءته لها إن كان من الضعف فيها بحيث لم تغنه قراءته في أصغر مسألة من الهندسة فأنه لا يحسن أن يستخرجها. فقال له المأمون: ما أدفع قولك ولكني ما أعذرك ومحلك من الهندسة محلك أن يبلغ بك الكسل أن لا تقرأه كله وهو للهندسة كحرف أ، ب، ت، ث للكلام والكتابة)) = تأريخ مختصر الدول، ص٢٧٩-٢٨١.

(٧) إبن النديم: الفهرست، ص٤٣٤-٤٣٥. كذلك القفطي، تأريخ الحكماء، ص١٧٣، إبن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص٢٦٣.

(٨) هو محمد بن عبد الملك بن أبان الزيات، وكان أبان رجلاً يجلب الزيت إلى بغداد من مواضعه، وكان محمد بن عبد الملك شاعراً بليغاً وُزِرَ لثلاثة خلفاء هم: المعتصم والواثق والمتوكل، وبعد أربعين يوماً من وزارته للمتوكل نكبه وقتله في النكبة وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين (٨٤٧م). وللوزير الزيات كتاب رسائل = إبن النديم: الفهرست، ص١٩٧. كذلك الشابشتي، أبو الحسن بن محمد: الديارات (بغداد، ١٩٦٦م) ص٦٤. ولم يلِ الوزارة أشعر من محمد بن عبد الملك وأن أشعر كُتّاب دولة بني العباس محمد بن عبد الملك الزيات = الصولي: الأوراق (القاهرة، ١٩٣٤م) ص٢٠٦-٢٠٧.

(٩) أنظر إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٤، القفطي: إخبار العلماء، ص١١٧، إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٣٦-٢٣٧.

(١٠) أنظر القفطي: تأريخ الحكماء، ص١٧٤-١٧٥، إبن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص٢٦٤-٢٦٦.

(١١) أنظر إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص٦٨، إبن النديم: الفهرست، ص٤٦٤، القفطي: إخبار العلماء، ص١١٧-١١٨، القفطي: تأريخ الحكماء، ص١٧١، إبن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢١٧-٢١٨، إبن العبري: تأريخ مختصر الدول، ص٢٦٣.

(١٢) ومن هذه المراجع نذكر على سبيل المثال:

القرني، أحمد حسنين: قصة الطب عند العرب (القاهرة، دون تاريخ) ص١٢٥، أفرام، مار أغناطيوس: تأريخ حكماء الإسلام (دمشق، ١٩٤٧م) ص٢٧٧،

Arnold, Thomas, The legacy of Islam, Oxford, 1931, P.318, Sell, R. E., The faith of Islam, Madras, 1880, P.182.

(٢) ابن النديم: الفهرست، ص٤٦٤. كذلك صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص٤٧-٤٨، القفطي: تأريخ الحكماء، ص١٧٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢١٨.

(٣) طبقات الأمم، ص٤٧.

(٤) القفطي: إنباه الرواة، جـ١، ص٣٤٥. كذلك الحنبلي: شذرات الذهب، جـ١، ص٢٧٦.

(٥) الفهرست، ص٦٧.

(٦) طبقات الأمم، ص٤٧.

(٧) طبقات النحويين واللغويين، ص٤٧.

(٨) تهذيب الأسماء واللغات، جـ١، ص١٧٨.

(٩) تأريخ الحكماء، ص١٧٣.

(١٠) وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٥-١٨.

(١١) شذرات الذهب، جـ١، ص٢٧٥.

(١٢) مرآة الجنان، جـ١، ص٣٦٢.

(١٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٢٤٠.

(١٤) طبقات الأمم، ص٤٧-٤٨.

(١٥) تأريخ الحكماء، ص١٧١. أو القفطي: إخبار العلماء، ص١١٧.

(١٦) عيون الأنباء، ص٢٣٩.

(١٧) تأريخ مختصر الدول، ص٢٥٠.

(١٨) أمين، أحمد: ضحى الإسلام (بيروت، ٢٠٠٧م) جـ١، ص٢١٨.

(١٩) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٠٧.

(٢٠) المصدر نفسه، جـ١، ص٢١٨-٢١٩.

(٢١) قراوخ، عمر: تأريخ العلوم عند العرب (بيروت، ١٩٧٠م) ص١١٧.

(٢٢) تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٩٢. كذلك العاني، مصطفى شريف: حنين بن إسحق (بغداد، ١٩٧٤م) ص٥١٦-٥١٧، المعلوف: تأريخ الطب عند العرب (بيروت، ١٩٣٥م) ص١١،

Tritton, A. S., The Caliphs and their non-Muslim Subject, London, 1970, P.167, Khudabukhsh, salaaddin, Contributions to the History of Islamic Civilization, Calcutta, 1929, vol. I, P.29.

(٣٤) هو العلم الذي يبحث عن الحقيقة. ويعرف الموسوعي العثماني والببليوجرافي المعروف عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بطاش كبري زادة علم المنطق بقوله:
((علم المنطق ويسمى علم الميزان أيضاً وهو علم يتعرف منه كيفية إكتساب المجهولات التصورية أو التصديقية من معلوماتها وموضوعه: المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول والنفع فيه والغرض منه ومنفعته ظاهرة)) = مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (القاهرة، ١٩٦٨م) جـ١، ص٢٩٥.
وللتفاصيل راجع إبن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي: النجاة (القاهرة، ١٣٣١هـ) جـ١، ص٥-٦، حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص١٦٨٢-١٦٨٣.

(٣٥) انظر المخزومي، مهدي: الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه (بغداد، ١٩٦٠م) ص٦٢.

(٣٦) السريان: إسم غريب خارجي أطلقه المصريون ثم اليونان على أهل سوريا ومن اليونان إستعاره الآراميون الغربيون ومن السريان الغربيين سَرى إلى المتنصرين من الكلدان الآشوريين فتسموا بإسم السريان تمييزاً لهم من الكلدان الآشوريين الوثنيين. فلم يكن الإسم السرياني يومئذ يشير إلى أمة بل إلى الديانة المسيحية لا غير. هذا وإن لفظة سرياني تفسر بلفظة نصراني وإلى يومنا هذا نرى الكلدان الآشوريين لا يتخذون لفظة سرياني للدلالة على الجنسية بل على الديانة فإن هذا الاسم عندهم مرادف لاسم مسيحي من أي أمة وجنس كان = الكلداني، أدي شير: تأريخ كلدو وآشور (بيروت، ١٩١٢م) جـ٢، ص١ من المقدمة. كذلك رزقانة: حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٨٥، حتي، فيليب: تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين (بيرت، ١٩٥٨م) جـ١، ص١٨٤-١٨٥.

(٣٧) المخزومي: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص٦٣.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) المصدر نفسه، ص٦٦-٦٧.